الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
المركز الجامعي صالحي أحمد
- النعامة -

معهد الآداب و اللغات
قسم اللغة و الأدب العربي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة و الأدب العربي موسومة بـ :

صورة الآخر في أدب الرحلة رحلة الحسن الوزان
- أنموذجا -

ميدان : اللغة و الأدب العربي **شعبة :** دراسات نقدية **تخصص :** نقد حديث و معاصر

إشراف الأستاذ:
د. عبد الرحمن بوترعة

إعداد الطالبة :
فقير الحاجة

السنة الجامعية

2025/2024

C.U.N
المركز الجامعي بالنعامة
CENTRE UNIVERSITAIRE DE NAAMA

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

المركز الجامعي صالحي أحمد – النعامة –

معهد الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

تصريح الشرف

خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

أنا الممضي أسفله :

السيد (ة) : عقيبي الحاجة

الصفة (طالب – أستاذ – باحث) طالبة

الحامل (ة) لبطاقة التعريف الوطنية رقم : 110001455000690000

الصادرة بتاريخ : 20 / 08 / 2023

المسجل (ة) بكلية / معهد : المركز الجامعي صالحي أحمد - النعامة.

قسم : اللغة و الأدب العربي

والمكلف (ة) بانجاز أعمال بحث (مذكرة التخرج – مذكرة ماستر – مذكرة ماجيستير – أطروحة دكتوراه) عنوانها : صورة الخرقي في أدب الرحلة، رحلة الحسن الوزان نموذجا.

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية في إنجاز البحث المذكور أعلاه .

التاريخ : 03 - 06 - 2025م

توقيع المعني

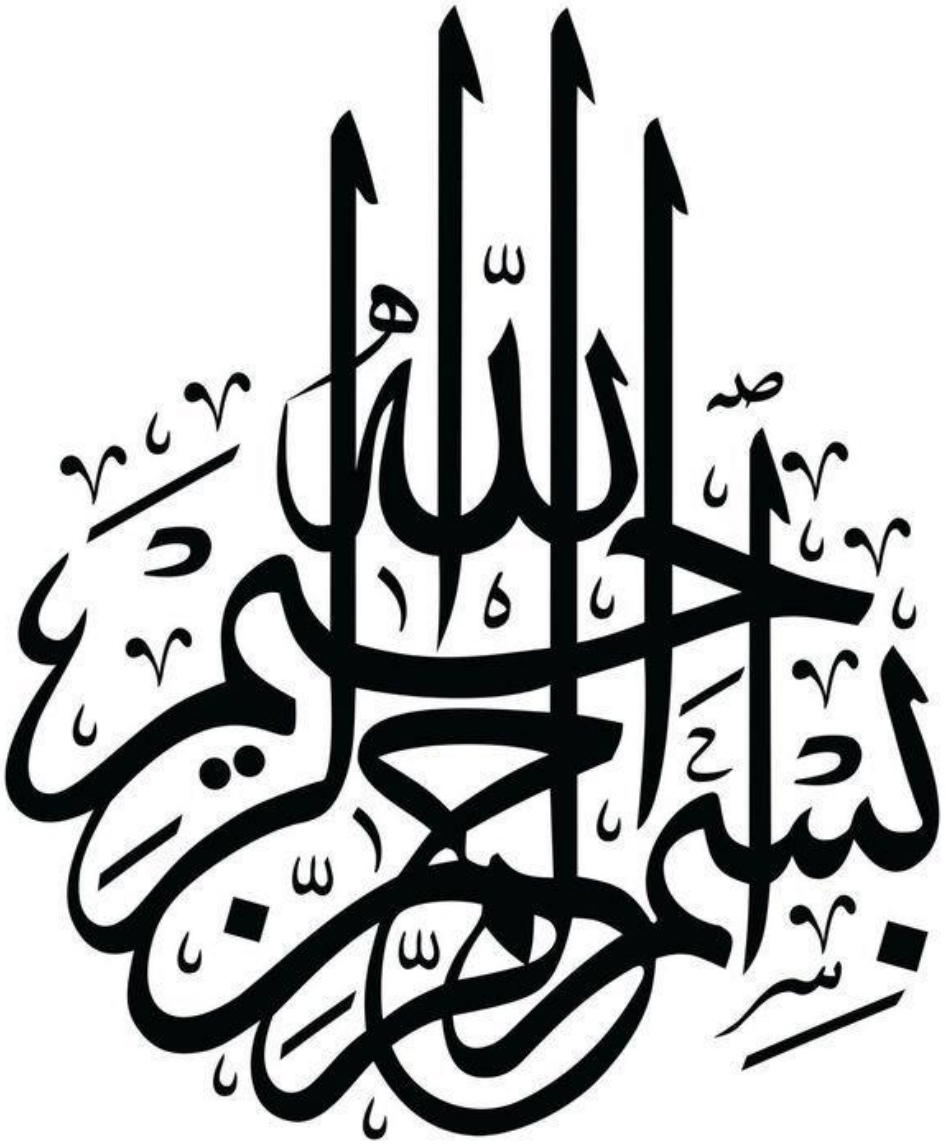
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الشكر لله الذي أفرغ علينا صبرا و ثبت أقدامنا و الشكر للأستاذ المشرف الدكتور عبد الرحمان بوترعة على ما قدمه من إرشاد و توجيه و تعليم في إتمام هذا البحث .

كما أشكر أعضاء اللجنة العلمية خلال صبرهم على قراءة هذا العمل و حسن مثابرتهم و حرصهم على أن يستمر معهد اللغة العربية في عطاءه و تكوينه.

كما أشكر كل من قدم لي يد العون من قريب أو بعيد في إنجاز هذا البحث المتواضع و تقويمه.

الإهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى التي تعجز كل الكلمات عن وصفها

إلى التي كانت النور في عتمتي

إلى التي تعبت دون مقابل من أجل إتمام مسيرتي الدراسية

أمي الحبيبة

متعها الله بالصحة و العافية

إلى روح والدي العزيزالمحب للعلم و العلماء

أسكنه الله فسيح جنانه

إلى إخوتي وأخواتي كل واحد باسمه

إلى كل الأهل والأحبة

إلى كل الأصدقاء الذين شاركوني في مقاعد الدراسة

إلى كل قوافل الرّحالة المغامرين

إليكم جميعا أهدي هذا العمل .

مقدمة

مقدمة

خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان،وبث فيه روح المعرفة والإطلاع والإكتشاف، من أجل الإستمرار في الحياة ، وبلوغ متطلباتها ولا يتم ذلك إلا بالرحلة باعتبارها الحافز الأول الذي كان يرافق دائما تطور أغلب الأمم والحضارات .

وذلك أن الرحلة من أبرز أنواع الفنون النثرية المتجذرة في الأدب العربي منذ القديم ، ولقد أسهمت في ترصيع الإبداع الأدبي السردي بتداخل أجناسه وذلك برصد وتسجيل حياة الشعوب الأخرى واكتشاف الأماكن والمواقع من بلدان العالم ، حيث كان الرحالة أمينا في نقل الأحداث التي شهدها بأم عينه أو ما سمعه من أخبار عن تلك الشعوب والأماكن والأصقاع التي يرتحل إليها .

ولقد شكلت الرحلة مصدرا مهما من مصادر الإثراء المعرفي والفني إذْ أصبح الرحالة سفيرا وناقلا لحياة الأمم والأقوام والشعوب لمختلف عاداتهم وتقاليدهم وموروثهم الثقافي،مما جعلهم يكتبون العديد من المؤلفات المعرفية والموسوعية والتي عبروا فيها عن مدى انبهارهم وانطباعاتهم .

وقع اختياري لهذا الموضوع الموسوم "بصورة الآخر في أدب الرحلة رحلة الحسن الوزان-أنموذجا- "لما له من أهمية في الأدب حيث كان تصوير هذا الرحالة للآخر الجزائري كجزء من حضارته فقام بسرد رحلاته بأسلوب سهل خالي من الصنعة حيث صور المكان بشكل مباشر إضافة الى الجوانب الإجتماعية والثقافية والسياسية والإقتصادية.

وتهدف هذه الدراسة الى الكشف عن تمظهرات الآخر - نخص جغرافية الجزائري – في أدب الرحلة .

وتعود أسباب اختياري لهذا الرحالة الفذ، باعتباره أحد الرحالة العرب الأفارقة في العصر الحديث الذين أبدعوا في تدوين رحلاتهم بشكل مباشر، لكن لم تنصفهم الساحة الأدبية العربية ولم ينالوا حظهم من الشهرة.

وجاءت اشكالية هذا الموضوع كالتالي : كيف وصف الحسن الوزان المدن الجزائرية ؟ وهل جاء وصفه للمدن الجزائرية شاملا أم مقتضبا ؟

وكيف تجلت صورة الآخر عند الرحالة العرب والغرب في وصفهم لمدن المغرب العربي الوسيط ؟

و استفدت من كتب و دراسات، تقاطعت مع موضوعي حيث استأنست بها في هذا البحث نخص منها:

- ابن بطوطة ،رحلة ابن بطوطة ، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، دار احياء العلوم بيروت ، ط1 ، لبنان ، 1407ه/1987م.

- فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط2، القاهرة، 1423ه/2002م.

- شعيب حليفي ، الرحلة في الأدب العربي ،التجنس،آليات الكتابة،خطاب المتخيل ، مكتبة الأدب المغربي ، دط ، أبريل 2002م

وفن الرحلة في الأدب المغربي القديم ،للطالب زردومي اسماعيل ، نسخة مخطوطة أطروحة دكتوراه ، إشراف أ.د عبد الله العشي ،جامعة باتنة، 2005م .

- مدينة قسنطينة في أدب الرحلات للطالب بورايو عبد الحفيظ رسالة ماجستير إشراف حمادي عبد الله ، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة منتوري قسنطينة ، 2007م/2008م.

و اعتمدت في عرض هذا البحث على المنهج الوصفي حيث جمعت فيه بين الوصف والتأريخ حيث تمثل الوصف في (تصوير الرحالة للجزائر في العهد العثماني ،والتأريخ في نشأة أدب الرحلة ، وللإجابة عن الأسئلة السابقة أفضت هذه الدراسة الى خطة مقسمة على : مقدمة و مدخل وفصلين و خاتمة

في المدخل تناولت قراءة حول مصطلحات العنوان: (الصورة، الآخر، أدب الرحلة)، إضافة إلى تشكل صورة الآخر في الأدب(شعر، خطاب قصصي، الرواية).

وفي الفصل الأول الذي يحمل عنوان "نشأة المصطلح عند العرب والغرب" فقد عرضت في المبحث الأول نشأة أدب الرحلة عند العرب والغرب ، وفي المبحث الثاني أشرت إلى أهم الرحالة العرب الذين تحدثوا عن الجزائر أما المبحث الثالث فكان لأهم الرحالة الغرب الذين تحدثوا عن الجزائر وهنا انعكست صورة الآخر في أدب الرحلة ، وفي المبحث الرابع أعطيت رؤى نقدية حول تأثير الرحالة ببعضهم البعض .

أما الفصل الثاني فكان عملا تطبيقيا حاولت من خلاله رصد "تجليات صورة الآخر في رحلة الحسن الوزان "، وقد ركزت على المدن الجزائرية وذلك بإشارة من الأستاذ المشرف والذي سهل لي

طريقة العمل لأن جميع الرحالة لم يكتفوا بتصوير ما شاهدوه في بلد واحد فحسب بل كانوا يدونوا كل ما شاهدوه في جميع أنحاء العالم .

فتتبعت في المبحث الأول صورة تلمسان عند الحسن الوزان ،أما المبحث الثاني تحدثت عن قسنطينة وكيف صورها الوزان من جميع الجوانب ،أما المبحث الثالث خُصص لمدينة بجاية وعنابة عند الحسن الوزان بإيجاز وجاء المبحث الرابع والأخير حول أدب الرحلة من محتوي الرحلة والتموقع النقدي (نقد الذات/نقد الآخر). وفي الخاتمة عرضت للنتائج المتوصل اليها خلال مسيرة دراستي لهذا العمل الابداعي .

وقبل الختام لا نزعم أن كل قراءة ستكون ملمة وشاملة بل أن لكل رؤية نصيب من الصواب وجانب من الخطأ ولا بد أن الباحث يواجه صعوبات أثناء بحثه ولعل من الصعوبات التي واجهتني أذكر : عدم توفر كتاب " وصف إفريقيا " ورقيا -قرأت نسخة إلكترونية- وهذا ما صعب عملية البحث والغوص في المعاني بكل أريحية ، اضافة الى تشابه بعض المصادر في نقل الصور عن المدن العربية والجزائر خاصة التي كان تركيزي عليها .

وفي الأخير لا يسعني إلا أن أتوجه بالحمد والشكر لله على توفيقه لإنهاء هذه المذكرة كما أتوجه بالشكر الى الأستاذ الفاضل الدكتور المشرف عبد الرحمان بوترعة والذي قدم لي يد العون بالنصح والإرشاد والتوضيح في إنجاز هذا البحث واتمامه .

النعامة في: 03-06-2025

فقير الحاجة

مدخل: مفاهيم حول الصورة والرحلة وأدب الرحلة

أولا: مفهوم الصورة (لغة واصطلاحا)

ثانيا: مفهوم الآخر (لغة واصطلاحا)

ثالثا: مفهوم الرحلة (لغة واصطلاحا)

رابعا: مفهوم أدب الرحلة (لغة واصطلاحا)

إن الإنسان اجتماعي بطبعه، و لا يمكن ان يعيش بمنعزل عن الآخرين لأنه يتفاعل ويتواصل ويتعامل مع الآخر ليستمر، ولتحقيق الذات لابد من وجود الآخر.

ساهمت صورة الآخر في الأدب العربي في إثراء فهم وتصور الشخصيات والثقافات المختلفة وذلك من أجل تسليط الضوء على التوترات الاجتماعية والسياسية و الاقتصادية والتي تتراوح من قضايا الاستعمار الى الهويات الثقافية والسياسية ،كما ساعدت هذه الصورة على التأكيد على المفاهيم مثل الهوية والإنتاء بالإضافة الى التأمل والوصف في القضايا البشرية والصراع الثقافي والتعايش.

لقد أضافت صورة الآخر في الشعر العربي أبعادا جديدة ومتعددة في التعبير عن الصراع الداخلي والخارجي للشاعر وذلك من خلال التفاعل مع صورة الآخر سواء كان من ثقافة أو خلفية مختلفة ،كما قد تكون هذه الصورة مرتبطة بالعدو، المستعمر أو حتى الاخر المغاير في المعتقدات والآراء فمثلا استخدام العرب الشعراء صورة الآخر المستعمر لإظهار تأثيرات الإستعمار الثقافي والسياسي على المجتمعات العربية بحيث يحاول الشاعر فهم الآخر واحتواء اختلافات ومن جهة اخرى، كان للآخر دور فعال في الشعر الرومنسي والحداثي حيث تم تصويره أحيانا كرمز للغربة أو التباين الثقافي مما سمح للشعراء التعبير عن القضايا العزلة والإغتراب والرحلة والبحث عن الذات .

" فقد تأثرت الرحلة مثلها مثل النصوص السردية الطويلة التي شكلت الإرث التراثي الممتلئ بالخيال وبصمات الواقع ووجهات نظر مشتقة حول الآخر.....فالرحلة كغيرها من النصوص السردية الأخرى مزيج من الواقع والخيال تنقل لنا تجربة الذات (الأنا النحن) ورؤيتها للآخر وكذا تفاعلها معه بناء على هذه الرؤية ، ولا تخلوا التعاريف المختلفة للرحلة من الإشارة إلى بعدها المادي المعرفي وعلاقتها الوطيدة بمختلف العلوم الإنسانية ، مما يفسر اختيار بعض الباحثين لهذه التسمية لهدف فتح نافذة إضافية أخرى على التاريخ واعتبار الرحلة مصدر غميسا وسجلا أثنوجرافيا يعتبر الرجوع اليه أساس في حقل الأنثروبولوجيا ومادة جغرافية يجزم الجغرافيون بأن ولادتها كانت من رحم الحقل الجغرافي"[1] كما يمكن أن نميز نوعين من الرحلات رحلات شعرية ورحلات نثرية يقول شعيب حليفي عن "الرحلات النثرية هي الأعم ،فإنها تأتي مدونة بأسلوب يغلب عليه الطابع المحدد للرحلة ،وتتخذ صفة الرحلة

[1] وناسة بودرع ، شعرية الوصف في الرحلة ، مذكرة لنيل شهادة الماستر في اللغة العربية والأدب العربي ، جامعة محمد الصديق ، جيجل ، 2018م/2019م، ص08.

انطلاقا من اعتمادها على مجموعة من المكونات والعناصر ،وفق صياغات أدبية وفنية وجمالية وهذا النوع من الرحلات هو الغالب".[1]

ومن الأمثلة عن الرحلات النثرية نجد القصة، الرسالة، التقرير، الرواية...ان طبيعة الرحلة القائمة على سرد الأحداث ووصف مشاهدات جعلها ترتقي الى اسلوب الفنون الأدبية المعروفة حديثا مثل الرواية والقصة ،ما يجعل بعض الباحثين يشيرون الى دور الرحلة في نشأة هذه الفنون وتطورها يقول المستشرق الروسي أغناطيوس كراتشوفسكي في حديثه عن قيمة هذا النوع الأدبي "وهو يقدم متعة ذهنية كبرى اذ نلتقي فيها بنماذج أدبية فنية رائعة ،صيغت بالسجع أحيانا والمصنفات الموضوعية من أجل جمهرة القراء يتراوح فيها العرض بين الجفاف والصرامة من جهة والإمتاع والحيوية من جهة أخرى ،وهنا تبدوا مقدرة العرب وبراعتهم في فن القصص".[2]

وهذا ما يدل على وجود جذور الفن القصصي في أدب الرحلة وهذا ما أكده شوقي ضيف بقوله "ولا نبالغ اذا قلنا إن الرحلات من أهم فنون الأدب العربي لسبب بسيط وهو أنها خير رد على التهمة التي طالما اتُّهم بها هذا الأدب ،ونقصد تهمة قصوره في فن القصة."[3]

اضافة الى فن الرواية الذي يعتبر من أكبر الفنون النثرية حجما و التي تعبر عن الواقع بمختلف ظواهره وقضاياه كما اهتمت بدراسة الأفراد أو الجماعات والتي تعكس طبيعة العلاقة بين (الأنا والآخر) فهذا الموضوع عرف بعد أجواء القهر والحروب والصراعات والتي ميزت العلاقة المتبادلة بين الأنا ولاآخر.

كما تهدف الرواية الى تحليل المجتمع ونقده وتصور أزمة الإنسان وصراعه مع الآخرين ،وهي اليوم تعبر عن همومه ومعاناته وأمراضه النفسية وحساسية هويته إزاء هوية الآخر من حوله فأصبحت مهمة الأديب في النقد الهادف لذلك المجتمع الذي يرتبط به ماديا واجتماعيا ونفسيا وأخلاقيا ،وبما

[1] شعيب حليفي ، الرحلة في الأدب العربي التجنس في آليات الكتابة خطاب المتخيل ، مكتبة الأدب المغربي ، دط ، أبريل 2002م ، ص 121-122.

[2] أغناطيوس يوليان وفتش كراتشوفسكي ،تاريخ الأدب الجغرافي ،ت صلاح الدين عثمان هاشم ، ج1 ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ،د.ط ،1963 ،ص25.

[3] شوقي ضيف، الرحلات فنون الأدب العربي الفن القصصي، دار المعارف، ط4، ا لقاهرة، 1119، ص6.

أن للرواية قدرة على وصف الواقع ونقده من خلال التعبير عن مشكلاته ومعانات الذات فيه فإنها " أكثر فنون الأدب قدرة على وصف المشهد العربي في تحولاته المختلفة ."[1]

أي أن الرواية تهدف الى تصوير الآخر من خلال التعبير عن الأزمات والصراعات ومعانات الذات تجاه ذلك الآخر ،فهي تصف تلك التحولات المتخلفة بين الذات والآخر.

" فالراوي في الرحلة هو المؤلف ذاته ،وهو احدى خصائص الكتابة الرحلية ، وهذا الراوي يكون حاكيا وموضوعا للحكي ، فهو حاكيا عندما يصف ،ويكون موضوعا للحكي عندما يسرد وبهذا يقدم معرفة موضوعية اثناء ذلك الوصف ، كما يقدم تجربة ذاتية أثناء السرد " [2]

الراوي في الرحلة هنا يقدم معرفة موضوعية عن الآخر أثناء وصفه له، وهو بذلك يعيش تجربة ذاتية عندما يسرد أحداث رحلته.

" وبالرجوع الى جدلية الأنا والآخر التي وجدت عمقها وتوترها في النصوص الروائية العربية يتجلى لنا أن الآخر في معظم النصوص عدواني بالدرجة الأولى وهذا ما نراه ونلمحه في ثنائية الشرق والغرب أي الصراع القائم بينهم ، من غالب ومغلوب ، حسب نظر ابن خلدون مثلا المغلوب مولع بتقليد الغالب ، فهذه السمة العامة التي قدمتها الرواية العربية في محاولتها إيجاد صياغة لهذا الآخر"[3]

يمكن أن نميز الآخر من خلال الصراع والإختلاف الموجود بين فئات الشعب والدول وهذا ما تهتم به الرواية العربية في بحثها عن الآخر.

" فالإنسان مهما تغرب والتصقت غربته صار أجنبيا وكل ما يحيط به يعد اجنبيا عنه ولو تأملنا في عناصر تكوين الآخر لوجدنا ثمة عنصرا أوليا للصورة التي نحاول تشكيلها في الفضاء الثقافي المغاير ".[4]

لقد شكلت الرحلة مجموعة النصوص السردية التي تعكس تجربة وجودية في سياق يرتكز على وصف ظاهراتي يقوم على المشاهدة المباشرة.

---

[1] رزان محمود ابراهيم،خطاب النهضة والتقدم في الرواية العربية المعاصرة ،دار الشروق ، ط1 ، عمان الأردن ،2003، ص25.

[2] ينظر: عبد النبي ذاكر ،عتبات الكتابة ،مقاربة لميثاق المحكي الرحلي العربي ، ص 34 .

[3] ميسوم عبد القادر ، رؤية الآخر في الخطاب الروائي لأحلام مستغانمي ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في مشروع الكتابة وتمظهر الآخر في الرواية العربية المعاصرة ، قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة السانية وهران ، كلية الآداب اللغات والفنون ، الجزائر 2004م /2005 ، ص9-10.

[4] المرجع نفسه ، ص 06.

1- مفهوم الصورة:

أ- لغة :جاء في لسان العرب "في مادة (ص، و، ر) أن الصورة في الشكل والجمع صور ،وصور صورة ، وصورت وتصورت الشيء توهمت صورته فتصور لي والتصاوير التماثيل ، وصورة الفعل كذا وكذا صفته ،جاء في الحديث أنه أتاه في أحسن صورة ويجوز أن يعود المعنى الى النبي صلى الله عليه وسلم :أتاني ربي وأنا في أحسن صورة ،وتجري معاني الصورة كلها عليه إن شئت ظاهرها أو هيئتها أو صفتها ".[1]

"ورجل صيّرٌ شيّرٌ أي حسن الصُورة والشّارة عن الفراء ،وفي أسماء الله تعالى المُصوّرُ وهو الذي صوّر جميع الموجودات ورتّبها وأعطي كلّ شيئا منها صورة خاصة وهيئة مفردة يتميز بها على اختلافها وكثرتها "[2]

أما في تاج العروس" الصورة بالضم: الشكل والهيئة والحقيقة والصفة، والصورة: التمثال "[3]

ب-اصطلاحا : عرفت الصورة "بأنها ابداع ذهني صرف ،وهي لا يمكن أن تنبثق عن المقارنة وانما تنبثق من الجمع بين حقيقتين واقعتين بعيدتين تتفاوتان في البعد قلة وكثرة ،ولا يمكن احداث صورة المقارنة بين حقيقتين واقعتين بعيدتين لم يدرك ما بينهما من علاقات سوى العقل ". [4]

أي أنها ابداع ذهني يعتمد على الخيال والعقل وحده هو الذي يدرك علاقتها فهي تنقل احساس الفنان تجاه الأشياء ،وانفعاله بها وتفاعله معها ،ويري محمد غنيمي هلال :"أن الصورة اما أن تكون بصرية أو لها غاية وتحمل وسائط ومفردات أو رموز معبرة يمكن ادراكها أو فهمها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة أو تكون متخيلة ، يقوم الخيال بتشكيلها وتكوينها وإعادة تركيبها من مكونات الذاكرة الخاصة بالخبرات الماضية ،أو تكون ذهنية وتتمثل في الانطباعات الذاتية التي تتكون لدى الأفراد أو الجماعات إزاء شخص معين أو نظام أو مؤسسة ما بحيث يكون لها تأثير على حياة الانسان ".[5]

[1] ابن منطور ، لسان العرب ، تح : عامر أحمد حيدر ،ج3 ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت ،لبنان ،2005 ،(ص،و،ر)،ص442 .

[2] المصدر نفسه، ص، 441.

[3] محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي ،تاج العروس ، ط1 ،المطبعة الخيرية ،مصر، 1988م ، ص 91 .

[4] مجدي وهبة، معجم مصطلحات العربية، مكتبة لبنان، ط2، لبنان، 1984، ص 45.

[5] محمد غنيمي هلال ،النقد الأدبي الحديث ، دار الثقافة ،بيروت ،لبنان ،1973م ،ص،70.

يعد مصطلح الصورة من المصطلحات الفضفاضة التي يصعب أن يحدّ بمفهوم واحد فهي في الأدب صياغة متميزة ومتفردة بواسطتها يجري تمثيل المعاني تمثيلا جديدا ومبتكرا ،فقد حظيت بالعناية والاهتمام نظرا لما تحمله من قدر على تحويل المجرد الى المحسوس وجعلها الغائب حاضرا وفق آليات عدة".[1]

وهذا يعني أن الصورة ذات طابع ذاتي فكل شخص لديه صور في ذاته وهو الذي يعبر عنها بمفرده، فهي تجعل الغائب حاضرا أي دون لزوم حضور الشيء المصور فقط من خلال وصفه كما هو شكلا وتمثيلا.

"فالصورة الأدبية هي تلك الظلال والألوان التي تخلعها الصياغة على الأفكار والمشاعر وهي الطريق الذي يسلكه الشاعر والأديب لعرض أفكاره وأغراضه عرضا أدبيا مؤثرا، فيه طرافة ومتعة وإثارة "[2]

يعني هذا أن الصورة هي نتاج الافكار والمشاعر التي رسمت في ذهن الشاعر أو الأديب مما يجعله يتّخذ أحكاما أو يعبر عن مواقف اتّجاه مجال معين وردت فيه ،أي أنها السبيل الذي يعبر من خلاله الشاعر أو الأديب ليقدم أفكاره ومقاصده بطريقة حية ومؤثرة .

2-**مفهوم الآخر:**

لغة: ذكر الآخر في المعجم الوسيط " بأنه أحد الشيئين ويكونان من جنس واحد قال المتنبي:

ودع كل صوت غير صوتي فإنني أنا الصائح المحكي والآخر الصدى ".[3]

من خلال هذا التعريف نستنتج أن الآخر هو المخالف أي مثلا تكون هناك ذاتا يقابلها أيضا آخرا مخالفا لها . في لسان العرب يعرف على " أنه اسم على وزن أفعل والأخرى أنثى الا أن فيه معنى الصفة لأن أفعل من كذا لا يكون الا في الصفة وتصغير آخرٌ أُوَيْخرٌ... ، وقوله عز وجل :"ولي فيها مآرب أخرى " جاء على لفظ صفة الواحد لأن مآرب في معنى جماعة أخرى من الحاجات والجمع أخرياتٌ وأُخرُ."[4]

[1] نبيلة مهرهرةو سارة عياشي ، صورة الأنا والآخر في رحلة جزائري في الأندلس رحلة الفردوس الموجود لسفيان مقنين ،شهادة ماستر في الأدب العربي ،قسم اللغة والادب العربي ،جامعة محمد الصديق بن يحيى ، جيجل ،2019/2018 ،ص، 09 .

[2] م نفسه، ص 13.

[3] مجمع اللغة العربية ، معجم الوسيط ، مكتبة الشروق الدولية ، ط4 ، 2008م ،(باب الهمزة)، ص08

[4] لمنجد في اللغة العربية المعاصرة، مر: صبحي حموي، دار المشرق، ط1، بيروت، لبنان ، 2000 ، ص 11.

" يتخذ مفهوم الآخر معنى أوسع يفيد كل ما يختلف عن الموضوع والذات ،فيشمل الاختلاف وكذا مختلف الأشياء ".[1]

نجد كذلك الآخر أنه أحد الشخصين أو الشيئين ويكونان من جنس واحد أو ما يدل على فرق تمييز بين شخصين أو شيئا مقصود أو أشخاص أو أشياء من الفئة ذاتها والجنس نفسه .

ب-اصطلاحا : الآخر هو ضد الأنا ومعنى هذا وجود بإقرار حياة أخرى خارجة عن دائرة الذات . يرى عمر عبد العلي علام أن " الآخر هو عبارة عن مركب من صفات وخصائص النفس البشرية والاجتماعية والسلوكية والفكرية ينسبها فرد ما الى الآخرين وكل تعريف يطلق على الأنا من شأنه أن يطلق على الآخر أيضا ، أي في حالة أن تكون الأنا ترتبط بعلاقة اختلاف سواء في الجنس أو الفكر أو الانتماء مع (أنا الآخر)تكون الأخيرة هي الآخر ".[2]

الآخر هنا بمعنى المخالف وهو مجموع الصفات والخصائص التي تكون البشرية سواء في الجنس أو الفكر أو الإنتماء ، في ضل هذه الاختلافات الناتجة بين المجتمعات من جنس وعرق ودين ظهر ما يعرف بالآخر وهو الذي يساهم في تشكيل الذات ، كما أنه لا يمكن معرفة ذواتنا الا من خلال الآخر.

ومفهوم الآخر عند ميشال فوكو متعلق بالذات تعلقا لا فكاك منه شأنه في ذلك شأن ارتباط الحياة بالموت،" فالآخر بالنسبة الى فوكو هو الهاوية أو الفضاء المحدود الذي يتشكل فيه الخطاب ونقصد بذلك أن الآخر بالنسبة له هو الموت بالنسبة الى الجسد البشري " .[3]

نجد الرحلة تجربة حقيقية يقدم فيها الرحالة ما شاهده وما عايشه طيلة فترة رحلته الى بلد آخر مغاير حيث يعطي صورة للآخر.

3- مفهوم الرحلة :

[1] معجم اللغة العربية، الوسيط، دار الشروق الدولية، ط4، مصر، 2008، ص، 8.

[2] عمر علي عبد العلام ، الأنا و الآخر ،الشخصية العربية والشخصية الاسرائيلية في الفكر الإسرائيلي المعاصر ، دار العلوم والتوزيع والمعلومات ، ط1 ، 2005 ، ص ، 9.

[3] قادة محمد ،الحوار الثقافي بين نحن الآخر من منظور عبد المالك مرتاض ، المجلد 16 ،العدد 02،جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم ، الجزائر ،سبتمبر 2020 ،ص 325.

أ- لغة : عند الفيروز آبادي "الرحلة بالضم أو الكسر ،الارتحال وبالضم الوجه الذي نقصده ،والسفرة الواحدة ،ورحلة: هضبة ورحل بمعنى انتقل ،وراحله عاونه على رحلته ،واسترحله أن يرحل له ،والرحول أو الترحالة أو الرحولة ،الصالحة لأن ترحل وأرحلها راضعها فصارت راحلة ".[1]

وجاء في معجم العين رحل في معنى الراحلة: المركب من الإبل ذكرا كان أو أنثى، ورحلتُ بعيري أرحله رحلا، وارتحل البعير رُحله أي سار فمضى ثم جرى في نقيض المحل " وأرحل فُلان: كثُرت رواحِلُه فهو مُرْحِلٌ...والرُّحال: العرب الذين يستقرون في مكان ويَحَلّون بِماشيتهم حيثُ يَسقُطُ الغيثُ ويَنْبُتُ المرعى "[2]

أي أن الرحلة هي الإنتقال من مكان الى مكان آخر ، حيث كان الرحالة قديما ينتقلون بماشيتهم للبحث عن قوتها في مكان ينبت فيه الزرع ويسقط فيه الغيث.

وترتحل القوم: وهو ارتحال في مهلة. ورحل الرجل: منزله ومسكنه، يقال انه لخصيب الرحل ".[3]

أما في معجم مقاييس اللغة مادة (ر ح ل): "الرّاءُ والحَاءُ واللاّمُ أصلٌ واحدٌ يَدُلُّ عَلَى مضِي فِي سَفَرٍ ،يقال :رحل يرحل رحلة ،وجمل رحيلٌ ،ذو رحلة ، اذا كان قويا على الرحلة .

والرحلة :الارتحال ،فأما الرّحل في قولك :هذا رَحْل الرجل :لمنزله ومأواه ، فهو من هذا انّما يقال في السفر لأسبابه التي اذا سافر كانت معه ،يرتحل بها ،وإليها عند النزول هذا هو الأصل ،ثم قيل لمأوى الرجل في حضره هو رحله ".[4]

يتضح لنا من خلال ما سبق ذكره أن لفظة الرحلة أخذت منحنى دال على السير والتنقل اضافة الى أن المعاجم العربية لم تغفل الجانب الاجتماعي الذي يعني به ذكر الإبل باعتبارها أهم عنصر شكل طريق الرحلة .

فمادة رحل في المعاجم اللغوية مادة ذات دليل وأهمية كونها " نالت اهتماما خاصا من "صاحب اللسان " باعتبارها مادة متداولة على نطاق واسع ونابعة من واقع البيئة العربية ويلاحظ هذه أن مشتقات المادة جميعا تدور حول محور واحد هو الحركة والرحلة في جوهرها حركة وانتقال ".[1]

[1] مجد الدين محمد بن يعقوب ،الفيروز آبادي ،المحيط ،ج3 ،دار الجيل ،ط3 ، بيروت ،د.ت ،ص 309 .

[2] ابراهيم مصطفى وآخرون ، المعجم الوسيط ، تح : مجمع اللغة العربية ، ج2 ، دار الدعوة ، دت ، ص334، 335.

[3] الخليل بن أحمد الفراهيدي ،كتاب العين ،ج2 ،دار الكتب العلمية ، ط1 ،بيروت ،2002 ،ص 106 .

[4] أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا ،مقاييس اللغة ،ج2 ، دار الجيل ، ط1 ، بيروت ، 1141هـ 1991م، ص 497-498.

ب- اصطلاحا : قد تنوعت وتعددت مفاهيمها ولعل ما اتفق عليه أهل الأدب بأنها تصب في قالب واحد وهو السفر ، بحيث عرفها أبي حامد الغزالي بمعنى " السفر وسيلة الى الخلاص عن مهروب عنه أو الوصول الى مطلوب ومرغوب فيه ".[2]

بمعنى أن الرحلة هي الطريقة أو الوسيلة التي تساعده في تحقيق أهدافه المرغوبة سواء بإرادته او تحت حكم السلطة .

أما صلاح الدين الشامي فيقول عن الرحلة " أنها تظل انجازا أو فعلا مباشرة لما يعنيه أو يقتضيه أمر ، اختراق حاجز المسافة ،أو اسقاط الفاصل الحاجز بين المكان الذي تبدأ منه أو المكان الذي تنتهي اليه ".[3]

هي العمل التي يقتضي فعل الحركة والتنقل من أجل أغراض ما.

أما عند المكناسي فهي " لون من التأليف الذي يجمع بين الدافع العميق والتأمل الدقيق في رصد المشاهدات والظواهر بأناة دقيقة والبحث في الاسباب والنتائج ببصيرة واعية ".[4]

معنى هذا أنه لون من الأدب حيث يعبر عن كل ما شاهده الرحالة أثناء رحلته في أماكن وبلدان وممالك أخرى فيصور كل ما يراه ببصيرة واعية ودقيقة.

فالرحلة اذا تجمع بين شقين في المعنى الأول أنها حركة وانتقال والثاني أنها نثر وخطاب وتأليف أدبي، فهي كتابة من خلال ما رواه الرحالة في أحاديثهم ومذكراتهم ومؤلفاتهم مما جعلها تصنف ضمن الأجناس الأدبية وبوصفها نموذجا أدبيا تتجلى" فيه القدرة على الوصف الدقيق والتعبير الفني الصادق ، وكذا القيمة العلمية في احتواء معظم هذه الرحلات على الكثير من المعرفة التي تمت الى علم الجغرافيا وعلم التاريخ بأوثق الصلات ففي الرحلات وأدبها صورا وافية ومعلومات دقيقة عن

---

[1] ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي (حتى نهاية القرن الرابع هجري) دار النشر للجامعات المصرية، مكتبة الوفاء، ط1، 1990، ص، 23.

[2] أبو حامد الغزالي ،إحياء علوم الدين ،ج2 ،دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت ، 1986م ، ص 181 .

[3] صلاح الدين علي الشامي ، الرحلة عين الجغرافيا المبصرة في الكشف الجغرافي والدراسة الميدانية ، منشأ معارف الاسكندرية ،د.ط ، 1999م ، ص 11 .

[4] محمد بن عثمان المكناسي ، الإكسير في فك الأسير ، تحقيق محمد علي الفاسي ، المركز الجامعي للبحث العلمي ،الرباط ، دط ، 1965 ، ص1.

الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية والسياسية وذكر المعالم الأثرية والعلاقات الاقتصادية ووصف البلدان والممالك والأصقاع والأقطار والمسالك "[1]

4- **مفهوم أدب الرحلة:**

أ- **لغة :** " رحل بمعنى رحل عن المكان ، رحلا ورحيلا ورحلة سار ومضى " [2] أي أن الرحلة هي السير والانتقال من مكان الى مكان ." والرُحلة بالضم الوجه الذي تريده، والرِحلة بالكسر هي الارتحال "[3]

كل هذه المفردات تصب في معنى واحد هو الإنتقال "وأرحل فُلان: كثُرت رواحِلُه فهو مُرْحِلٌ....والرُّحال: العرب الذين يستقرون في مكان ويَحَلّون بِماشيتهم حيثُ يَسقُطُ الغيثُ ويَنْبُتُ المرعى "[4]

ب- **اصطلاحا :** هي فن من الفنون النثرية تتعلق بحياة الأفراد والأمم التي زارها الرحالة ، حيث تتناول شيء من التفصيل بمختلف نواحي حياتهم ومعيشتهم بأسلوب أدبي شائق يغري القارئ بمواصلة القراءة من أول سطر الى آخره من دون ملل أو كلل .

كما جاء في كتاب " الرحلة في الادب العربي " لناصر عبد الرزاق الموافي أن " أدب الرحلة هو: مجموعة الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة ، وقد يتعرض فيها لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق ، ولتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها ، أو يسرد مراحل رحلته مرحلة مرحلة ، أو يجمع بين كل هذا في آن واحد ". [5]

احتوى أدب الرحلات على مادة وفيرة وغزيرة ، تاريخية وجغرافيا واجتماعية واقتصادية وأدبية ودينية ، كما تضمن الحكايات والأساطير " قد لا ترتقي الى مستوى الفن القائم بذاته كفن القصة أو الشعر أو المسرحية أو المقالة الأدبية مثلا ،ففيه تجتمع أساليب هذه الفنون وموضوعاتها من غير أن تضبطه معاييرها أو أن تخضع لمقاييسها ."[6]

[1] محمد أفرخاس ، رحلات المغاربة الى المشرق ودورها في تعزيز ثقافة التواصل ، 2016م ،ص 3 .

[2] معجم اللغة العربية، معجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، 2004، ص331.

[3] اسماعيل ابن حماد الجوهري ،الصحاح ، ص 1707.

[4] ابراهيم مصطفى وآخرون ، المعجم الوسيط ، تح : مجمع اللغة العربية ، ج2 ، دار الدعوة ، دت ، ص334، 335.

[5] ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي، دار النشر للجامعة المصرية، مكتبة الوفاء، ط1، مصر، 1995، ص38.

[6] حسني محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس، ط2، بيروت ، لبنان ، 1983، ص 9.

فالرحالة هو الذي يقوم بفعل الرحلة وذلك " باعتباره فاعلا وراحلا ومستمعا للعلماء ومنشدا للأشعار ومعلقا على ما سمع أو رأى أو قرأ ، وباحثا ومحققا إنه يفعل ذلك ليضفي بعض الصفات المكتسبة على الذات لترشيحها تدريجيا لتكون شخصية عالمة باحثة " [1]

فالرحالة يعمل على الوصف والإخبار، مخاطبا المتلقي بما يراه مهما ومفيدا له، وقد تكون له أهداف ودوافع مثل التثقيف أو الإمتاع أو الإصلاح.

- **دوافع الرحلة :**

تنقسم الرحلات الى أنواع منها الحقيقية ومنها الخيالية اذ تعتبر الاولى " مباشرة أي قامت بالفعل من طرف الرحالة من خلال قيامه بفعل السفر الى ذلك المكان الذي كتب عنه ، وعايشه بتفاصيله حاضره وماضيه وهذه الرحلة لها عدة دوافع سوف نذكرها لاحقا باختصار أما الرحلة الخيالية فهي التي يدونها أصحابها من وحي خيالهم فهي غير واقعية تنتقل بها الذات عن طريق الحلم أو التخيل دون سفر وتكون غالبا رحلة الى أمكنة غير موجودة في الواقع ، يقوم بها الباحثون عن المدن الفاضلة مثل "رسالة الغفران" للمعري وأفلاطون في " الجمهورية "والفرابي في المدينة الفاضلة يعبرون بصورة رمزية عما لا يستطيعون التعبير به صراحة فيتوجهون الى الخيال ليحققوا عالمهم الخاص ".[2]

وعلى هذا الأساس يمكن أن نقول أن الرحلات تنوعت بتنوع أشكالها واتجاهاتها ومدى ارتباطها بالواقع وكانت كل رحلة لديها دافع معين حيث نذكر أهم الدوافع بإيجاز:

- دوافع دينية : كالرحيل لزيارة أماكن مقدسة لأداء فريضة الحج أو العمرة طلبا للرحمة والمغفرة وزيارة القبور .

- دوافع علمية وتعليمية: طلب المزيد من العلم من بلد الى بلد وكذا البحوث العلمية والكشوف الجغرافية .

*رينهارد دوزي : مستشرق هولندي وأستاذ العربية في جامعة لَيْدَن ، ولد في ليدن ، 21فبراير 1820 اشتهر بدراسة تاريخ شمال افريقيا والأندلس ، له مؤلفات عدة أشهرها تكملة المعاجم العربية ، وتوفي في الاسكندرية ، مصر في 29 أفريل 1883.

[1] زردومي اسماعيل ، فن الرحلة في الأدب المغربي القديم ،نسخة مخطوطة أطروحة دكتوراه ، إشراف أ.د عبد الله العشي ،جامعة باتنة، 2005م ، ص ، 12 .

[2] ينظر ، نبيلة مهرهرة ، صورة الأنا والآخر في رحلة جزائري في الأندلس رحلة الى الفردوس الموجود ، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي ، جامعة محمد الصديق بن يحيى ، جيجل ، 2019/2018، ص25-26.

- دوافع اقتصادية : تهدف الى " التجارة وتبادل السلع أو لفتح أسواق جديدة لمنتجات محلية أو لجلب سلع تتوافر في بلاد أخرى وتندر في بلد المسافر ، وقد يكون هربا من الغلاء وسعيا وراء الرخص واليسر والوفرة أو للعمل "[1]

- دوافع اجتماعية: كضيق العيش وقلة الرزق والهروب من المشاكل الاجتماعية المختلفة.

- دوافع سياسية: كالوفود والسفارات التي يبعث بها الملوك والحكام الى دول أخرى لتبادل الآراء ، وتوطيد العلاقات .

- دوافع صحية: للعلاج والاستشفاء وراحة النفس والهروب من مكان موجود به مرض أو ضر بألم بأهله "[2]

[1] فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط2، القاهرة، 2002م، ص20.

[2] بغدادي زهرة ، أدب الرحلات في الجزائر أبو القاسم سعد الله نموذجا ، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الأدب واللغة العربي ، تخصص أدب عربي حديث ومعاصر ، قسم اللغة والأدب العربي ، المركز الجامعي صالحي أحمد . النعامة . الجزائر ، 2019م/ 2020م ، ص 09 .

الفصل الأول: نشأة وتطور المصطلح عند العرب والغرب

المبحث الأول: نشأة وتطور أدب الرحلة

المبحث الثاني: أهم الرحالة العرب الذين تحدثوا عن الجزائر

المبحث الثالث: أهم الرحالة الغرب الذين تحدثوا عن الجزائر

المبحث الرابع: رؤى نقدية حول تأثير الرحالة ببعضهم البعض

أولا: نشأة أدب الرحلة

" منذ وُجد الإنسان وفي نفسه الرغبة الملحة في التنقل والإرحال ، لأنه مفطور على حب الاستطلاع والتشوف والتشوق الى معرفة كنه المجهول ، والبحث وراء الخفيات والتعرف على أسرارها والإحاطة بشأنها ، والإفادة مما يكتسب من المعرفة ".[1]

تتجسد عناية ديننا الحنيف بالرحلة من خلال ورودها في القرآن الكريم لفظا أو معنى ، ومنذ مجيئ الاسلام عرف العرب أدب الرحلة حيث زاد اعتناقهم به وإيمانهم بتعاليمه ، مما جعلهم يتنقلون ويرتحلون من أجل الدعوة الى الدين ونشره مجاهدين في سبيل الله ، متعرفين على اخوانهم في الدين لقوله تعالى : " يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِنْ ذَكَر وأُنْثَىَ وجَعَلْنَاكُم شُعُوبًا وقَبَائِل لِتَعَارَفُوا "[2]

والله- جل وعلا- حث عباده على السير في الارض لتحصيل أرزاقهم والتعرف على الإبداع في خلق الكون لقوله تعالى :" قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الخَلْقَ ثُمَّ اللهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير"[3]

" ساهم العرب منذ القرن الثالث الهجري الموافق للقرن التاسع الميلادي في تأليف رحلاتهم ، واصطبغت مؤلفاتهم بالصبغة الجغرافية والتاريخية التي تتجلى لنا من خلال مصنفات الرحالين العرب الأوائل فتنضم بذلك الى التراث العربي الجغرافي والتاريخي ما ساهمت في انتاج مادة غزيرة وقيمة ، وقد تميز العرب عن غيرهم من الأقوام بهذه المؤلفات ومن بينهم ابن خرداذبة **(ت.272هـ)** التي نضجت بين يديه ثمار السابقين من المؤلفين في الجغرافيا ، أمثال : النضر بن شميل، الأصمعي،الجاحظ ، وقد ألف ابن خرداذبة كتاب " المسالك والممالك " وكان دافع الرجل في التأليف تنظيم أمور البريد والتي كان قيما عليها في جبال فارس . ويليه في التأليف للرحلات جماعة من المعاصرين في القرن الرابع الهجري ، أحمد بن جعفر اليعقوبي **(ت.284هـ)** صاحب كتاب " البلدان " ، والمسعودي صاحب كتاب "مروج الذهب ومعادن الجوهر " ، وأبو اسحاق الإصطخري صاحب كتاب " مسالك الممالك " في التأليف الجغرافي .

[1] ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة تحفة النُظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، دار احياء العلوم بيروت ، ط1 ، بيروت ، لبنان ، 1407هـ / 1987م ، ص06.

[2] القرآن الكريم، سورة الحجرات، الآية 13.

[3] القرآن الكريم، سورة العنكبوت، الآية 20.

إضافة الى ابن حوقل **(ت.380هـ)** الذي عرف بكتابه " صورة الأرض" كما ألف محمد المقدسي **(ت.390هـ)** كتاب " أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم " وهو كذلك خاص بالجغرافيا ووصف البلدان.

وفي نهاية القرن الرابع الهجري نجد ابن الفقيه الهمداني الذي ألف كتاب " البلدان " والذي اعتمد فيه على الكتب السابقة وقد حدد ابن النديم صاحب " الفهرست " حجم هذا الكتاب بنحو ألف ورقة "[1]

و من الرحلات الجغرافية يوجد عدد كبير من المؤلفات شارك فيها مشارقة ومغاربة ، وأندلسيون ، في فترات زمنية متباينة نذكر منها " نزهة المشتاق في اختراق الآفاق " لأبي عبد الله محمد الإدريسي **(ت.562هـ)** والذي يعتبر أكبر جغرافي في بلاد المغرب والأندلس ، ورحلة " تحفة الألباب ونخبة الإعجاب " لأبي حامد الأندلسي الغرناطي **(ت.564هـ)** ، " والذي جمع فيه بين الحقيقة والخيال، وله أيضا كتاب آخر هو المعْرِب عن بعض عجائب المغْرِب ".[2]

" وقد عرفت الرحلة العربية ابتداء من أواخر القرن السادس الهجري تحولات في اتجاه الكتابة من الاعتناء بجغرافية البلدان وآثارها الى الاعتناء بسرد يوميات الرحالة .

اذ أصبح أسلوب الرحالة سرديا وقصصيا يتسم بالبساطة ويتخلَّلُه مجموع العناصر السردية من زمن وفضاء وشخصيات وحوار ورُؤى وما تتمتع به من حساسيات وطابع لغوي يُدخِلُه مجال الأدبية ولعل من يمثل هذا الاتجاه الأدبي نجد الرحالة الأندلسي محمد بن جبير (ت.614هـ) في رحلته الموسومة بـ " تذكار الأخبار عن اتفاقات الأسفار " والتي أفادت الكثير من المؤلفين المغاربة والأندلسيين في موضوعها وصياغتها ، وبعد ابن جبير جاء علي بن سعيد الأندلسي (ت.685هـ) مؤلف كتاب " المُشْرِقُ في حُلَى المَشْرِق " ومحمد العبدري **(688هـ)** صاحب "الرحلة المغربية " وابن رشيد السبتي الأندلسي **(ت.711هـ)** مؤلف رحلة " ملء العيبة فيما جُمع بطول الغيبة " ، أما محمد بن ابراهيم اللواتي المعروف بابن بطوطة **(ت.776هـ)** فقد فاق ابن جبير شُهرةً واتساعا في رقعة الرحلة بكتابه " تحفة النُظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" حتى عُد من أشهر الرحالة شرقا وغربا ، نذكر كذلك من رحالي القطر المغاربي عبد الرحمان بن خلدون **(ت.808هـ)**صاحب " التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا " والذي أورد

[1] سميرة أنساعد ، الرحلة الى المشرق في الأدب الجزائري دراسة في النشأة والتطور والبنية، دار الهدى ، دط ، عين مليلة ، الجزائر ، 2009م ، ص 40- 41 .

[2] كمال بولعسل ، رحلة أبي حامد الغرناطي دراسة في فضاء الرحلة ، نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع ، ط2 ، قسنطينة ، الجزائر ، ، 2013م ص 05 .

فيه سيرته الذاتية وأخبار عن رحلاته في المغرب والمشرق ، انتقل التأليف من المشارقة الى المغاربة الذين عرفوا بتفوقهم في أدب الرحلات ، وتركيزهم في مؤلفاتهم على تسجيل أخبار الأدباء والعلماء في كل قطر زاروه "[1]

وقد أصبحت الرحلة في الوطن العربي في تراجع ملحوظ خاصة خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين (15-16م) وذلك بسبب الحروب وتزايد هجمات الأوروبيين على السواحل المغاربية خاصة ، لكن الرحلة رجعت الى نشاطها المعهود ابتداء من القرن الحادي عشر الهجري (17م) " [2].

ولعل من بين الرحالة بعد ابن خلدون الحسن بن محمد الوزان المعروف بليون الإفريقي ،

(ت957هـ /1550م) مؤلف رحلة "وصف إفريقيا " والذي سوف نتعرف عليه لاحقا وعن رحلاته ووصفه للمدن الجزائر فهو محل رحلتنا في هذا البحث من خلال كتابه هذا. إضافة الى أبو سالم العياشي (ت.1090هـ) صاحب الرحلة الضخمة " ماء الموائد " اضافة الى رحلة أبو القاسم الزياني 1167هـ 1734م صاحب " التّرجمانة الكبرى " .

ومع حلول العصر الحديث تغير مجرى اتجاه الرحلات من المشرق والمغرب الى أوروبا ، وهذا راجع الى التطور الحاصل بدول الغرب خاصة بعد الثورة الصناعية ، فلم يعد المهتمون بطلب العلم يشدون الرحال الى مصر والحجاز والشام والعراق كما كانوا في القديم ، بل أصبح هؤلاء يتوجهون الى الدول الغربية مثل: فرنسا ، انجلترا ، وأمريكا ..."[3]

أما عند الغرب فقد نشأ هذا اللون الأدبي في سياقات متنوعة ومختلفة وتطور حسب تطور التاريخ " واختلاف نظرتهم وتعددها ، فهناك الرحالة الاسباني والألماني والروسي ، ومن الطبيعي أن تختلف اهتمامات كل منهم وفقا للبيئة التي نشأ فيها ومعطياتها السياسية والاقتصادية والدينية ، ونفس الأمر بالنسبة للجانب العقائدي فمن أولئك الرحالة المسيحي ، ومنهم اليهودي وتعددت اهتمامات كل طرف "[4]

ارتبطت الرحلة عند الغرب خاصة بظهور الإكتشافات الجغرافية ، لأنها هي أساس التعرف على أنحاء العالم وعلى جماعات البشر وموارد الأرض .

[1] سميرة أنساعد ، الرحلة الى المشرق في الأدب الجزائري دراسة في النشأة والتطور والبنية ، لمصدر سابق، ص، 44.

[2] كمال بو لعسل ، رحلة أبي حامد الغرناطي دراسة في فضاء الرحلة ، نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع ، ط2 ، 2013م ، قسنطينة ، الجزائر ، ص 05 .

[3] سميرة أنساعد ، الرحلة الى المشرق في الأدب الجزائري دراسة في النشأة والتطور والبنية المصدر السابق ،ص 45.

[4] د. محمد مؤنس أحمد عوض، الرحالة الأوروبيّون في مملكة بيت المقدس الصليبية ، مكتبة مدبولي ، ط1 ، القاهرة ، 1992م ، ص10 .

فقد شهدت الرحلة خلال القرن (17/15) نهوضا بارزا خاصة مع رحلة المستكشف الايطالي كريستوف كولومبوس(1492) و فاسكو أغاما و المستكشف البرتغالي فارديناد ماجلان (1519)، ومن أهم الرحلات في الأدب الفرنسي نجد الطبيب والرحالة فرانسوا برنييه (1920-1688) الى مصر والشام عام 1654 ، وفي سنة 1697 نشر أنطوان جالان " المكتبة الشرقية " وهي سجل حافل بتراث الإسلام وقائمة غنية بالمصادر العربية ، كما قام جالان بترجمة ألف ليلة وليلة الى اللغة الفرنسية "[1]

لعبت الترجمة دورا مهما في نقل المعرفة العربية إلى الغرب مما جعل الأوروبيون يسعون وراء ترجمة الكتب الخاصة بالرحلات والمعارف واهتموا بها بكثرة وذلك بسب النهضة الغربية وتطور العلوم في جميع الميادين .

" أما في الأدب الايطالي نجد الرحالة ماركو بولو صاحب كتاب عجائب الدنيا والذي يعتبر اقدم ما كتب في أدب الرحلات في إيطاليا (1324-1254) وهو عبارة عن مذكرات تاجر قام ماركو بولو في تسجيلها بدقة.

وتعتبر رحلات كابتن كوك وإيوثين (الكن جليك) ورحلات جالغر وروبنسون كروزو ولدنيال دييغو من أعمال التي تدخل ضمن أدب الرحلات الإنجليزية ، تميز أسلوب الرحالة الانجليز فيما بين (1660-1550) أمثال ما لكوت ودامبير وانسون ، كل له أسلوبه واتجاهه الخاص وهدف معظمهم هو إعطاء معلومات مفيدة ، وقد امتازت الرحلة خصوصا حوالي القرنين السادس والسابع بالتجارة واكتشاف أماكن وبلدان جديدة "[2]

كما تعتبر الرحلات الغربية العلمية أو الاستكشافية التي قام بها الأوروبيون الى البلدان الإفريقية خاصة والعربية الإسلامية عامة من أهم المصادر للتعرف على تاريخ هذه البلدان وحضارتهم ولعل من بين هؤلاء الرحالة نذكر: الاسباني مارا مول كار بخال ، والفرنسي لوجي دو تاسي والألماني جوهان هابنسترايت .

ثانيا : أهم الرحالة العرب الذين تحدثوا عن الجزائر:

يعتبر أدب الرحلة من الآداب العالمية الرفيعة ، والتي عرفها العرب منذ القديم، وقد برعوا فيه الى حد الابداع ،حيث كان لهم الفضل في نقل المعلومات الجغرافية والتاريخية والفنون العمرانية وأحوال الناس

[1] وهيبة العايب ونورة قريشي ، أدب الرحلات ودورها في التواصل بين الحضارات ، مذكرة معدة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر، قسم اللغة العربية وآدابها ، كلية الآداب واللغات ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، 2011م ، ص 74.

[2] المرجع نفسه، ص 75-76.

الاجتماعية والسياسية وكذا نقل المعرفة من قطر الى قطر ومن أمة الى أخرى ، في وقت انعدمت فيه وسائل النقل والاتصال والاعلام وغيرها من الوسائل التكنولوجية.

والله سبحانه وتعالى حث الإنسان بالحركة والتنقل من أجل البحث والاستكشاف بهدف الحصول على متطلبات حياته حيث يقول سبحانه وتعالى في هذا الصدد " هُو الذِي جعل لكُمُ الأرْض ذلولا فامشُو في مناكبها وكُلُوا منْ رِزْقِهِ وإليْهِ النُشُورُ " .[1]

فالحركة والسير من مكان الى آخر تجلب الرزق والمعرفة بقدرة الله ونعمته الكبيرة التي أنعمها على عبادة .

ولعل ما ورد في الدعوة الى الرحلة أيضا ما " جسده الإمام الشافعي رضي الله عنه في هذه الأبيات :

سَافِر تَجِدْ عِوَضًا عَمن تُفَارِقُـــــه ، وانْصَبْ فَإنَّ لَذِيذَ العَيْشِ فِي النَّصـــَبِ

إنِي رَأَيْتُ كُوف المَاءِ يُفْسِـــــــدُه ، إنْ سَاحَ طَابَ وانْ لَمْ يَجْرِ لَمْ يَطِـــبِ

الأسَدُ لَوْلاَ فُرَاقَ الغَابِ مَا افْتَرَسَـتْ والسَّهْمُ لَوْلاَ فُرَاقَ القَوْسِ لَمْ يُصـــبِ

التِبْرُ كَالتُرْبِ مُلْقَى فِي أَمَاكِـــــــــنِهِ والعُودُ فِي أَرْضِهِ نَوْعٌ مِنَ الحَـــــطَبِ

ففي هذه الأبيات الرصينة يشجع الإمام الشافعي على السفر والرحلة ".[2]

1- رحلة ابن بطوطة (13040م -1369م) : يعد الرحالة ابن بطوطة من أبرز الشخصيات التاريخية التي ارتبط اسمها بالترحال والسفر وحب المغامرات ، ولد في مدينة طنجة وهي احدى مدن المغرب العربي ، اسمه أبوعبد الله محمد بن عبد الله بن ابراهيم اللواتي الطنجي الملقب بابن بطوطة ، كانت أول رحلة له هي آ داء فريضة الحج حيث مر بالجزائر وتونس ومصر وفلسطين وسوريا متجها الى مكة وزيارة قبر رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام حيث يقول : " كان خروجي من طنجة مسقط رأسي في يوم الخميس الثاني من شهر الله رجب خمسة وعشرين وسبعمائة 725 معتمدا حج بيت الله الحرام ، وزيارة قبر الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام"[3]

زار الرحالة الشهير ابن بطوطة الجزائر في القرن الرابع عشر ، حيث تميزت رحلاته بوصف المدن التي زارها في شمال افريقيا وعلى سبيل المثال نذكر بعض المدن الجزائرية التي مر بها مثل بجاية وتلمسان ، وقسنطينة ،

[1] القرآن الكريم، سورة الملك، ص 15.

[2] ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، دار احياء العلوم بيروت ، ط1 ، بيروت ، لبنان، 1407-1987م ، ص 08.

[3] ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، مصدر سابق ، ص 33.

ووهران ، مشيرا الى ثقافة هذه المدن والعادات والتقاليد كما وصف أهل الجزائر وحياتهم السياسية والاجتماعية حيث يقول " وأهل هذه الجزائر أهل صلاح وديانة وإيمان صحيح ونية صادقة ، أكلهم حلال ، ودعائهم مجاب ، وإذا رأى الانسان أحدهم قال له : الله ربي ، ومحمد نبيَي وأنا أمي مسكين ، وأبدانهم ضعيفة ، ولا عهد لهم بالمقاتلة والمحاربة ، وسلاحهم الدعاء ولقد أمرت مرة بقطع يد سارق بها ، فغشي على جماعة منهم كانوا بالمجلس ، ولا تطرقهم لصوص الهند ولا تذعرهم لأنهم جرَبوا أن من أخذ لهم شيئا أصابته مصيبة عاجلة ... وأن أخذ أحد الكفار ولو ليمونة عاقبه أمير الكفار وضربه الضرب المبرح خوفا من عاقبة ذلك ".[1]

هذا يعني أن أهل الجزائر مسلمون ذو ديانة وصلاح يأمنون بالله ورسوله لا يأكلون الا الحلال بفضل اخلاصهم واتقانهم للعمل وصفاء نيتهم كما أنهم يوكلون أمورهم ومصائهم الى الله عز وجل عملا بما جاء في كتابه "وَمَنْ يَتَقِ اللهَ يَجْعَلُ لَهُ مَخْرجًا ويَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتسِبُ ومَنْ يَتَوكَلْ عَلَى اللهِ فَهُو حَسْبُهُ إنَّ الله بالِغُ أَمْرِهِ قدْ جَعَلَ الله لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا " .[2]

يذكر ابن بطوطة أن في كل جزيرة من هذه الجزائر مساجد حسنة و أكثر عمرانهم و بنيانهم بالخشب ، و يصفهم بحب النظافة و التنزه عن الاقذار.

" ومن عاداتهم أنهم إذا صلوا الصبح أتت كل امرأة الى زوجها أو ابنها بالمكحلة وماء الورد ودهن الغالية ، فيكحل عينيه ويدهن بماء الورد ويدهن الغالية ، فتصقل بشرته وتزيل الشحوب عن وجهه . ولباسهم فوط يشدون الفوطة منها على أوساطهم عوض السراويل ويجعلون على ظهورهم ثياب الوِلْيان وهي شبه الأحاريم وبعضهم يجعل عمامة وبعضهم منديلا صغيرا عوضا منها "[3]

وهذا ما يدل على أنهم متمسكون بتعاليم الدين الاسلامي والذي يحث على النظافة والطهارة .

ومن عاداتهم أيضا إذا قدم عليهم مركب ،أن تخرج إليه الكنادر وهي القوارب الصغار ، وفيها أهل الجزيرة معهم التنبول أو الكرنبة ، وهي جوز النارجيل الأخضر ،فيعطي الإنسان منهم ذلك لمن شاء من أهل المركب ، ويكون نزيله ويحمل أمتعته الى داره كأنه أحد أقربائه ويذكر أنه من أراد أن يتزوج من القادمين عليهم تزوج ، فإذا حان سفره طلَّق المرأة لأنهن لا يخرجن عن بلادهن ... ومن لم يتزوج فالمرأة التي بدارها تطبخ له وتخدمه وتزوده اذا سافر وترضى منه في مقابلة ذلك بأيسر شيء من الإحسان.

[1] ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، مصدر سابق ، ص 585.

[2] القرآن الكريم، سورة الطلاق، الآية 2-3.

[3] ابن بطوطة ، تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الأسفار ، المصدر السابق ،ص585 .

كما أشار ابن بطوطة أن هذه المراكب تحمل من هذه الجزائر السمك وجوز النارجيل والفوط والوليان والعمائم المصنوعة من القطن ويحملون أيضا أواني النحاس الموجودة بكثرة عندهم والودع وهو حيوان يلتقطونه في البحر ويضعونه في حفر حتى يذهب لحمه ويبقى عظمه أبيض ثم يبيعونه بأسعار مظبوطة والقنبر وهو ليف جوز النارجيل وهم يدبغونه في حفر على الساحل ثم يضربونه بالمرازب ، ثم تغزل النساء وتصنع منه الحبال لخياطة المراكب وتحمل الى الصين والهند واليمن .

نالت الجزائر حظاً وافرا في أوصاف أبن بطوطة للمدن التي حط فيها الرحال ، اذْ كانت قبلة الكثير من الرحالين عربا أو أجانب ، افتتنوا بسحر طبيعتها وجمال البناء والعمران فيها فوصفوها وصوروا مناظرها الخلابة المكونة من جبال شاهقة في السماء ، المكللة بالثلوج وكأنها عروس في ثوب زفاف أبيض ، حقا انّها مناظر رائعة جذابة تستحق الوصف والتصوير .

ومن المدن الجزائرية التي نالت اعجاب ابن بطوطة جوهرة الغرب الجزائري ، مدينة العلم والعلماء ومهد الحضارة والفنون وعاصمة الثقافة الإسلامية قبلة السياح المتجولين الباحثين عن الجمال مدينة تلمسان العريقة حيث يقول : " فوصلت مدينة تلمسان وسلطانها يومئذ أبو تاشفين عبد الرحمان بن موسى بن عثمان بن يغمر أسن بن زيان ... وأقمت بتلمسان ثلاثا في قضاء مآربي وخرجت أجدّ السير في آثارهما (كان رفقة قاضي الأنكحة أبوعبد الله محمد بن أبي بكر علي بن ابراهيم النفزاوي ، والشيخ الصالح أبو عبد الله محمد بن الحسين بن عبد الله القرشي الزبيدي .) ، فوصلوا مدينة مليانة ثم ارتحلا وكان القاضي قد اشتد به المرض فارتحل ابن بطوطة رفقة تجار من تونس وتركهم هناك يذكر منهم الحاج مسعود بن المنتصر والحاج العدولي ومحمد بن الحجر فوصلوا مدينة الجزائر وأقاموا بغار جها أياما "[1]

كانت تلمسان من ضمن محطات الرحالة ابن بطوطة وخصص لها جزءا في رحلته بعد ان تأملها فزار زاوية الشيخ أبي مدين شعيب ، التي كانت مقصدا للعديد من الزوار للتبرك به حيث يقول " ثم خرجنا فوصلنا بعد عشر الى مدينة تنس تم الى مازنونة ثم الى مستغانم تم الى تلمسان فقصدت العباد ، وزرت الشيخ أبا مدين رضي الله عنه ونفع به ، ثم خرجت عنها على طريق ند رومة ، وسلكت طريق أخندقان ، وبت بزاوية الشيخ ابراهيم " [2]

[1] ابن بطوطة ، تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الأسفار المصدر السابق ، ص، 35 .

[2] يامنة جبور ، صورة تلمسان في رحلة ابن بطوطة ، العدد الرابع والعشرون ، كلية الآداب واللغات جامعة تلمسان ، الجزائر ، 2017م ،ص 165 .

يتضح أن الرحالة ابن بطوطة كان مولع بزيارة أضرحة الأولياء الصالحين والتبرك بهم لأن ذلك كان من العادات الشائعة في تلك الفترة بين المتصوفة والعلماء والمسافرين ، " وكانت هذه الزيارة في عهد السلطان أبي تاشفين عبد الرحمان في أول القرن الثامن الهجري "[1]

كما وصف المدينة بأنها مدينة عظيمة قديمة فيها آثار كثيرة أزلية تنبئ أنها كانت دار مملكة لأمة سالفة اضافة الى أن تلمسان كانت تتميز بأسوار متينة وأنها كانت تنتج الخضر والزهر بكثرة نتيجة لتوفر المياه واعتدال المناخ .

فقد أشار ابن بطوطة أنه توجه أيضا الى بجاية أثناء رحلته حيث يقول " وصلنا الى مدينة بجاية وكان أميرها في تلك الفترة أبا عبد الله محمد بن سيد الناس الحاجب وكان من ظلام ولات الموحدين الذين يأخذون أموال الناس دون حق ... كما أنه أشار حين وصوله لبجاية أصابته بعض الحمى فأمره علي أبي عبد الله بالإقامة هناك حتى يبرأ لكنه رفض وواصل رحلته اذ يقول " وسرنا الى أن وصلنا مدينة قسنطينة فنزلنا خارجها وأصابنا مطر جود فاضطررنا الى الخروج...ولقد استضافهم حاكم قسنطينة أبو الحسن أحسن ضيافة وغسل ثيابهم وأعطاهم احراماً حيث يقول " هو من الشرفاء الفضلاء يسمى بأبي الحسن فنظر الى ثيابي فقد لوثها المطر فأمر بغسلها في داره ، وكان الإحرام منها خُلقاً ، فبعث مكانه إحراماً بعلبكياً وصرّ في أحد طرفيه دينارين من الذهب فكان ذلك أول ما فتح به على وجهتي ".[2]

" و رحلنا الى أن وصلنا مدينة بونة ، وأقمنا بها أياما وتجردنا للسير وواصلنا الجد وأصابتني الحمى فكنت أشد نفسي بعمامة فوق السرج خوف السقوط بسبب الضعف ولا يمكنني النزول من الخوف الى أن وصلنا مدينة تونس"[3]

2- رحلة ابن خلدون : هو العلامة أبو زيد وليّ الدين عبد الرحمان بن محمد بن خلدون الاشبيلي التونسي ، ولد في أول رمضان **732**هـ بتونس نشأ فيها وتلقى العلوم المعروفة في عصره ، تعلق ابن خلدون بالخدم السلطانية وولى كتابةَ العلامة عن صاحب تونس ، ثم توجه في سنة **753**هـ الى فاس فوقع بين يدي سلطانها أبي عنان فاعتقل نحو عامين ، ثم تولى كتابةَ السرِّ لأبي سالم أخي أبي عنان ، ثم دخل الأندلس فقدم غرناطة في أوائل ربيع الأول سنة **764**، وتلقاه سلطانها ابن الأحمر عند قدومه ونظَّمه في أهل مجلسه ، وكان رسوله الى عظيم الفرنج بإشبيلية ، ثم نزح الى تلمسان باستدعاء صاحبها ، وأقام بوادي العرب مدةً ، ثم

[1] يامنة جبور ، صورة تلمسان في رحلة ابن بطوطة المصدر السابق ، ص ، 166.

[2] ابن بطوطة ، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ،المصدر السابق ، ص35.

[3] ، م نفسه، ص36 .

توجه من بسكرة الى فاس فنهب في الطريق ، ثم توجه الى الأندلس ،ثم رجع الى تلمسان فأقام بها أربعة أعوام ، ثم رحل في رجب سنة **780** هـ الى تونس فأقام بها من شعبانها الى أن استأذن في الحجِّ ، فأذن له ، فاجتاز البحر الى الإسكندرية ثم قدم الديار المصرية في ذي القعدة سنة **784**هـ فحجَّ ثم عاد اليها وتلقاه أهلها وأكرموه وأكثروا ملازمته والتردُّد اليه ، بل تصدَّر للاقراء بجامع الأزهر مدة الى أن قرَّره الظاهر برقوق في تدريس القمحية بمصر ،ثم قضاء المالكية بالديار المصرية في جمادى الآخرة سنة **786**هـ الى أن مات قاضيا فجأة يوم الأربعاء لأربعٍ بقين من رمضان سنة **808**هـ عن ستة وسبعين سنة ودفن بمقابر الصوفية خارج باب النصر"[1]

ولعل ما يهمنا في رحلة ابن خلدون هو زيارته للمدن الجزائرية حيث نجد في كتابه اشارات كثيرة عن الجزائر فقد تحدث عن تاريخ المنطقة في أثرها في الحضارة الاسلامية .

" في أوائل عام **753**هـ ، طلع ابن خلدون في ركب ابن تافرين والي تونس الذي كان وزيرا للفضل بن يحي الحفصي سلطان تونس وانتزع منه العرش الا أن حفيد السلطان زحف في ذلك العام لمحاولة استرداد عرش جده وأنزل حتى وصل الى احدى مدن الجزائر يقول : " فإنا لما خرجنا من تونس ، نزلنا بلاد هوارة وزحفت العساكر بعضها بعض بفحص مرماجنة وانهزم صفنا فنجوت أنا الى أبّة فأقمت بها عند أحد الشيوخ ...ثم تحولت الى " تبسة " ونزلت بها على محمد بن عبدون صاحبها ، فأقمت عنده ليالي حتى هيأ لي الطريق وبذرق لي مع رفيق من العرب وسافرت الى قفصة وأقمت بها أياما أترصد الطريق " [2]

يبدو أن ابن خلدون عندما هزم والي تونس مع حفيد السلطان الذي أنتزع منه العرش الذي كان في صفه استطاع الهروب أو الفرار الى الجزائر داخلاً مدينة تبسة استقبله فيها أحد الشيوخ حتى هدأت الحرب بحيث وجد في تبسة نوعا من الأمان والهدوء اضافة الى استضافته من قبل محمد بن عبدون فترة من الزمن قبل مواصلة تنقلاته الى المناطق الأخرى لأسباب سياسية غير مستقرة في تلك المدة ، وبعد أن فر ابن خلدون من تبسة توجه غربا نحو بسكرة والتي كانت محط استقبال العديد من المهاجرين ودخل منطقة نفوذ الزواوة وبعض القبائل البربرية والذين يذكرهم ابن خلدون بأنهم قبائل ذات بأس لا يستهان بهم ، وأصحاب علم ، حيث خرج من بينهم فقهاء وعلماء خاصة في العهد العثماني .

[1] انظر ترجمة المؤلف في كتابه، تاريخ ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر طبعة مصححة اعتنى بإخراجها ، ألحق بها فهارس للآيات وللأحاديث وللموضوعات ، أبو صهيب الكرمي ،بيت الأفكار الدولية ،الأردن ،السعودية ، (732-808) هـ ،ص08.

[2] فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط2 -1، القاهرة، 1423هـ -2002م، ص530-531.

ثم انتقل الى تلمسان فاستقر بها فترة وهناك بدأ في تقلّد مناصب سياسية مرموقة منها العمل في الكتابة وأحيانا وسيط دبلوماسي يقول : " وارتحلت أنا من بسكرة وافدا على السلطان أبي عنان بتلمسان ، فلقيت ابن أبي عمرو بالبطحاء وتلقاني من الكرامة بما لم أحتسبه ، وردني معه الى بجاية ، فشهدت الفتح وتساءلت وفود افريقية إليه ، فلما رجع السلطان وفدت معهم ، فنالني من كرامته واحسانه مالم أحتسبه إذ كنت شاباً لم يطر شاربي ، ثم انصرفت مع الوفود ، ورجع ابن أبي عمرو الى بجاية فأقمت عنده حتى انصرم الشتاء..."[1].

في هذه مدينة تلمسان مر بتجارب مريرة حيث تعرض للعديد من الأزمات السياسية الا أن في بجاية قد وجد ما لم يحتسبه من الاحسان والكرامة وخاصة من قبل ابن ابي عمرو بالبطحاء مثل ما ذكر ، كان موقع البطحاء البسيط الذي بين مدينة را ليزان وبسيط وادي شلف . كما يذكر ابن خلدون التحاقه بمدينة أخرى حيث يقول: " ولحقتُ بأحياء أولاد عريف قِبْلَة جبل كزُول (الواقع في الجنوب الغربي لمدينة تيارت على بعد 10 كيلو مترات) فتلقوني بالتحفي والكرامة ، وأقمت بينهم أياما حتى بعثوا عن أهلي وولدي من تلمسان ، وأحسنوا العُذْرَ الى السلطان عني في العجز عن قضاء خدمته ، وأنزلُوني بأهلي في قلعة ابن سلامة من بلاد توجين التي صارت لهم باقطاع السلطان ، فأقمت بها أربعة أعوام...وشرعت في تأليف هذا الكتاب وأنا مقيم بها وأكملت المقدمة منه على ذلك النحو الغريب ، الذي اهتديت إليه في تلك الخلوة فسالتْ فيها شآبيب الكلام والمعاني على الفكر حتى امتخضت زبدتها ، وتألفت نتائجها وكانت من بعد ذلك الرحلة "[2]

لقد وصف المؤرخ والفيلسوف عبد الرحمان رحلته الى هذه المدينة والتي استقبله أهلها بالكرم والحفاوة وأقام بينهم الى أن تنقل الى قلعة بني سلامة التي كانت تحت حكم قبيلة أولاد عريف وهنا أكمل مقدمته بين عامي 1374 و 1379م وهنا استطاع ابن خلدون أن يطور من فكره ويأسس علم الاجتماع في مؤلفه الشهير كتاب العبر والذي سمى جزئه الأول بمقدمة ابن خلدون .

كما نجده يصف السلاطين والحكام اذْ يقول عن الوزير ابن الخطيب : " وكان الوزير ابن الخطيب آية من آيات الله في النظم والنثر والمعارف والأدب لا يُساجَل مَدَاه ، ولا يُهْتَدَى فيها بمثل هداه ، فما كتب عن سلطانه الى سلطان تونس جوابًا عن كتابٍ وصل اليه مصحوبًا بهدية من الخيل والرقِيق...،معظم قدره

[1] فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي ، المصدر السابق ، ص531.

[2] ابن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، د.ط ، 1979 ، ص 245 ، 246.

العالي على الأقدار ، ومقابل داعي حقه بالإبتدار المثْنِي على معاليه المخلدة الآثار في اصونة النظام والنّثار ، ثناء الروضة المعطار ، على الأمطار الداعي الى الله بطول بقائه في عصمة منسدلة الأستار "[1]

من خلال هذا القول نلاحظ أن ابن خلدون قد أعجب بالوزير ابن الخطيب فمدحه مدحا عظيما يليق به وبمكانته العلمية والأدبية في زمانه ،لأنه كان برعا في الشعر والكتابة النثرية وكان واسع العلم ومتمكنا فيه ولا يوجد من ينافسه في هذه المكانة كما أبدى ابن خلدون امتنانه أيضا لهذا الوزير والدعاء له بالستر والبركة .

3- الرحالة أبو القاسم الزياني " هو أبو القاسم بن أحمد بن محمد بن علي بن ابراهيم الزياني ، ينتسب الى قبيلة زيان الصنهاجية القاطنة بنواحي فاس ولد بفاس عام **1167هـ / 1734م** تلقى تعليمه بها حيث درس الفقه الحديث ، التفسير ، النحو ، المنطق ... في كل من مدرستي العطارين والصهريج مسجد الأندلس وجامع القرويين، تنقل في مختلف الوظائف السامية، عاملا وزيرا وسفيرا، حتى لقب بذي الوزارتين "[2]

" أبو القاسم الزياني وزير ومؤرخ الدولة العلوية ، أمازيغي الأصل ، وكان يعتز بذلك رغم أنه كان من كبار موظفي الدولة ، قام بأسفار كثيرة وزار مناطق عديدة مثل تركيا ومصر وسوريا وأوروبا الجنوبية ".[3]

اضافة الى رحلته الى الحج والتي انطلق منها من فاس مارا بتلمسان ثم الجزائر العاصمة متجها نحو تونس ، ليبيا ومصر ، والحجاز.

" اشتهر بكتابه في أدب الرحلات **" التّرجمانة الكبرى "** والذي جمع فيه أخبار العالم وعلومه تفرغ الزياني للكتابة والتأليف بما حمله من تجارب وخبرات ورحلات ساعدته في الأخير على التدوين والتسجيل ،الى أن وافته المنية عن عمر يناهز مائة عام 04 رجب 1249هـ /17نوفمبر 1833م .ودفن بحي السلام في مدينة فاس".[4]

3- رحلة أبو القاسم الزياني:

[1] ، ابن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا، المصدر السابق ،ص167، 169.

[2] محمد بن عدي ، تلمسان من خلال كتابات الرحالة المغاربة ، الحسن الوزان وأبو القاسم الزياني ، مجلة رفوف ، مخبر المخطوطات ، جامعة ، أدرار ، الجزائر ، المجلد 11 ، العدد01 ، جانفي 2023 ، ص448.

[3] م نفسه، ص، 448.

[4] محمد بن عدي ، تلمسان من خلال كتابات الرحالة المغاربة ، الحسن الوزان وأبو القاسم الزياني المرجع السابق ، ص، 449، 450.

من خلال كتابه "التّرجمانة الكبرى" نجد هذا الرحالة يصف لنا أخبارا عن رحلاته والمسالك التي قطعها وما تعرض له أثناء طريقه الى الحج، وقد زار خلال هذه الرحلة ، مصر وتركيا وبلاد الشام والعراق أنطاكية وفلسطين وخلالها حج مرتين قبل أن يعود الى تلمسان ومنها الى فاس.

"قد جمع بين المتعة والمنفعة و الاخبار عن رحلاته إذ نجده يعطينا تفاصيل عن البلدان التي مر بها من حيث تاريخها وجرافتيها ومعالم عمرانها وعادات أهلها اضافة الى أخبار مناطق أخرى لم يزرها كاليمن والصين وأوروبا وآسيا كما يعطينا صورة عن العالم كما يتصوره بما فيه من بحار وقفار، وجزر وجبال، وعيون وآبار ومعادن وأحجار وحيوانات "[1]

مما يجدر الاشارة اليه هنا هو زيارته لتلمسان والتي تعتبر محطة مهمة في سياق رحلاته ومهامه السياسية والعلمية يقول في هذا السياق: "ولما دخلت مدينة تلمسان التي لا يعرفني بها انسان، خالي الكيس من النقير والقطمير ولا معين ولا أنيس ولا مشير"[2]

أي أنه دخلها وهو لا يعرف أهلها ولا يملك شيئا يذكر ولو كان بحجم قشرة أو شق من نواة التمر.

فأقام ما يقارب فيها سنة ونص مشتغلا بالمطالعة والتقييد والتأليف واطلع على كتب التاريخ اليوم في حكم المفقود قائلا في هذا الصدد : "بعد اقامتنا بها سنة ونصفها خرجنا منها الى الجزائر فرارا من الوباء الذي حل بها"[3]

لم تكن رحلة الزياني مجرد رحلة جغرافية فحسب بل كانت رحلة علمية وثقافية استطاع من خلالها يجمع معارف علمية هامة وخاصة من خلال الترجمة ونقل العلوم من اللغات الأجنبية الى اللغة العربية والكتابات التاريخية كما استطاع أن يسجل لنا الأوضاع الاجتماعية والثقافية والسياسية للمناطق التي زارها في الجزائر.

عند اقامته بتلمسان والتي تذوق فيها لذة العيش واستنشق عبيرها وتنعم بجمال أجوائها وتعلم واستفاد منها المعرفة والعلوم الا أنه في هذه الأثناء وهو مولع بحب العلماء والشيوخ قابله شيخا تلمسانيا وهو داخل الجامع الكبير ، اذ حضر مجلس هذا الشيخ الذي أبدى على حسب الزياني يتغنى بمظهره وهو غير مراعي لحالته العلمية يقول في وصفه لهذا الرجل الذي احتسبه عالم وظن أنه سيستفيد منه "...وكان

[1] أبو القاسم الزياني ، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا ، تح : عبد الكريم الغيلالي ، دار لنشر المعرفة ، طبعة1412هـ - 1991م،الحي الصناعي –الرباط ص 288 .

[2] م نفسه ، ص ، 142 .

[3] م نفسه ، ص، 142.

يمر بي رجل بهي المنظر، نظيف الثياب ، صقيل المغفر، يلطخني شزرا ، ويميل عني كبرا ، يطرق النادي ولا يسلم ، ويبخل بالجواب عن التكلم ويرى بأنه من الطبقة العليا ...أَحْسِبُهُ من جهابذة الأعلام ،وممن له الصدارة بين شيوخ الإسلام ، فقصد الكرسي يميس ويتبختر ، وصعد على أدراجه يتنثر فدنوت منه شغفا بعادتي...فلم أجد في سفرته ثمرا منه ألتقط ولا في روضته زهرا بقطافة أغتبط "[1] و لقد كان مظهر الشيخ الخارجي يوحي بالتواضع والبساطة لكن سرعان ما رآه الزياني معجبا بنفسه وعندما أراد التحدث معه لم يجيب وتصرف معه بتعجرف وكبرياء فلم يجد في مجلسه ما يفيده من العلم فخاب ظنه فيه وغادر وهو يلوم نفسه وتذكر بعض الأبيات للسلطان أبي سعيد عثمان الذي **قال:**

[1]- أبو القاسم الزياني ، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا المصدر السابق ، ص 148.

فَمَا يَنْفَعُ الفِتْيَانِ حُسْنُ وُجُوهِهِمْ إذَا كَانَتِ الأفْعَالُ غَيْرُ حِســـَانْ

فلا تَجْعَلِ الحُسْنَ الدَّلِيلَ عَلَى الفَتَى فَمَا كُلُّ مَصْقُولِ الحَدِيدِ يَمَــانْ "[1]

اضافة الى الجانب السياسي فقد نجد الزياني يصف أخبار تلمسان من ملكها ودخول العثمانيين اليها على غرار الحرب بين بني مرين وبني عبد الواد على حكم تلمسان الى أن ملكها أبو الحسن المريني أعواما ثم ردها لهم أبو عنان ، ثم غلبهم عليها أبو عنان ثم ردوها ...واستمر الحال على ذلك(أي الحرب بينهم) الى أن انقرض مُلْكُ بني مرين وبني عبد الواد ، وملكها الترك من يد عبد الله الزياني ، آخرهم عام اثنين وخمسين وتسعمائة 952 ، دخلها حسن بن خير الدين باشا ، قدم لها من الجزائر ، ولا زالت في ملك الترك الى وقتنا هذا وهو عام سبعة وعشرين ومائتين وألف 1227 "[2]

كانت تلمسان في تلك الفترة تحت صراع بين الدولة المرينية في المغرب وبني عبد الواد (الزيانيين) الذين حكموا تلمسان فكان كل من الطرفين يجري وراء السيطرة والحكم على المدينة لأنها كانت تمتاز بموقع استراتيجي هام الى أن دخلها العثمانيون بقيادة خير الدين باشا فقاموا بضم تلمسان الى إيالة الجزائر التي كانت تابعة للدولة العثمانية.

وفي سياق آخر نلاحظ أن أبو القاسم الزياني قد وصف بعض المعالم الأثرية والمظاهر العمرانية يقول عن تلمسان " هذه تلمسان قاعدة من قواعد المغرب الأوسط ، قديمة أزلية البناء أسست قبل الاسلام بكثير من الأعوام "[3]

يشير هذا التعريف الى أن تلمسان كانت من أقدم المدن الجزائرية وأجملها ،لأنها أسست قبل الاسلام من قبل بنو يفرن وهم احدى قبائل زناتة والتي كانت تسمى بأغادير ، حيث يزعم سكانها بأنها مدينة الجدران المذكور في القرآن الكريم في قصة سيدنا موسى والخضر عليهما السلام .

وفي اطار وصف المدن نجده ايضا يصف مدينة وهران والجزائر وقسنطينة وبجاية ، وبسكرة يقول عن وهران: " بأنها من بناء الروم قبل الإسلام وتعاقب عليها من قبل بني يفرن ثم الأدارسة ثم الشيعة ثم زناتة

[1] أبو القاسم الزياني ، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا ، المصدر السابق ، ص 142.

[2] م نفسه،ص 148 .

[3] م نفسه، ص، 145.

ثم صنهاجة الى غاية فتحها من طرف الترك في عهد السلطان سليمان العثماني وقد بناها محمد بن أبي العون عام 290هـ/873م."[1]

أما مدينة الجزائر فقد أسست سنة 361هـ/970م فوصفها الزياني بأنها " كانت تدعى بقرى بني مزغنة من صنهاجة وتعود الى مؤسسها بلكين بن زيد الصنهاجي لذلك سميت بأرض الصحراء ، ولها سبعة أبواب وسور حصين ولها مسجد معروف بالمسجد الأعظم ومساجد أخرى لأداء فريضة الصلاة "[2]

ويضيف قائلا " وبالقرب منها في غربيها مدينة بسكرة من حساب عمالة الجزائر ، وهي من أحسن المدن لكثرة مرافقها وخصبها وتوسطها بين التل والصحراء ، وبها مساجد معتبرة البناء وأهلها تحت قهر الأتراك ومذلة العرب ، وفي شرقيها بمرحلة زاوية على مسجد الرجل الصالح التابعي ،عقبة ابن عامر الذي أسس مدينة القيروان في خلافة عثمان رضي الله عنهما"[3]

(تولى القيادة في افريقية سنة 62هـ/663م ثبت أركان الدولة الاسلامية بتأسيسه للقيروان) .

وذكر الزياني أنه أقام في الجزائر أربعة وعشرون يوما كما أشار الى بعض الأحبة من أهل فاس الذين ألزموه بالنزول عندهم من بينهم الفقيه السيد محمد بن مالك أصله من المغرب ، الذي طلب منه النزول عنده فلبى دعوته وبات عنده الى أن تهيأ للسفر. (ينظر التّرجمانة الكبرى ، ص151.)

وقصد الزياني أيضا أثناء رحلته مدينة قسنطينة والتي قال عنها : " وتوجهنا من الجزائر لقسنطينة وكان فصل الشتاء وكنت قدِمتُ وقت اقامتي بالجزائر مكتوبا لصاحب لنا من تلمسان من أصحاب باي قسنطينة يكتري لنا منزلا نستقر به الى أن يخرج فصل الشتاء " [4]

فأقام الزياني بقسنطينة خمسة عشر يوما فقد لقي فيها ما لقي من الوقار والاحترام وحب العلم والعلماء

[1] نعماني سامية و بوعافية فايزة ، أوضاع الجزائر من خلال رحلتي ابن زاكور الفاسي وأبي القاسم الزياني / أنموذجا ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الجزائر الحديث ، قسم التاريخ ، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية ،جامعة أكلي محند أولحاج ، البويرة ، الجزائر ، 2023م/2024م ، ص78.

[2] م نفسه، ص، 79.

[3] أبو القاسم الزياني ، الترجمان الكبرى ، المصدر السابق ،ص 149.

[4] م نفسه ، ص، 151، 152.

أما مدينة بجاية والتي اعتبرها " خير وأحسن المدن التي مر بها خلال رحلاته لأن الجزائر وقسنطينة كانت كلها خراب حيث تأسست هذه المدينة في عهد الروم الذين كانوا بسواحل افريقية قبل الفتح . ولما فتحها المسلمون بقيت بها المدارس ودرست بها العلوم "[2]

هذا ما الجانب من العمران الذي جسده الزياني في رحلته الى الجزائر ، ولا ننسى علاقته مع البايات والحكام التي كانت وطيدة معهم وخاصة مدينة وهران التي كانت الوجهة الأولى في رحلة نحو الجزائر.

وذكر الزياني التقائه مع الباي محمد بن عثمان ومدى اهتمامه الكبير لشؤون وأحوال المغرب الأقصى مما أصابهم من انهزام في الحرب وفقدانهم لممتلكاتهم يقول في هذا السياق : " لما اجتمعنا به أظهر التأسف والتوجع على ما أصابنا ، وأقسم أنّه لا يترك الأخذ بثأرنا ، من عرب إنقاذ وقال: "الحمد لله حيث سلمت وبلّغتنا فطب نفسا وقر عينا، فإننا نخلف لك جميع ما ضاع..." [1]

كان الباي محمد بن عثمان حاكما لبايلك الغرب الجزائري وكان " له نجاح كبير في صد الحملات الخارجية واستقر الوضع السياسي الذي أدى الى نمو وتطور الوضع الثقافي في الجزائر " [2]

رغم الظروف الصعبة التي كانت تمر بها الجزائر تحت حكم الدولة العثمانية الا أن الحكام أو البايات كانوا يحافظون على العلاقات الدبلوماسية مع السلطة المركزية .

كما يبرز أبو القاسم الزياني بعض الأوضاع الاجتماعية فمن الناحية الأخلاقية فقد أبدع الجزائريون في إكرام الضيوف حيث استقبلوا الزياني أحسن استقبال وقدموا له الدعم المادي والمعنوي وهذا ما رأيناه سابقا مع تعامل الباي محمد بن عثمان معه والذي أمر خليفته أن يكرمه ويُحْسِنَ نَزْلَهُ .

كما نجد الزياني قد ذكر الأوبئة والتي كان لها تأثير على استقرار السكان بها بين تلمسان والجزائر وبين الجزائر و قسنطينة يقول : " ما مررنا به من الجزائر الى قسنطينة من المدن فكُلُه خَرَابٌ غير مدينة بجاية "[3]

وعند رجوعه للجزائر فقد وجد الوباء خفيفا حسب وصفه " ولما بلغنا لمدينة الجزائر وجدنا الوباء بها خفيفا فنزلت خارجها ، وبَنَيْتُ مضاربي ، ووجهت من حاشيتي من يأتيني باللوازم من لحم وحطب وعلف دواب ، فما رجع الا وأنا مصاب بالحمى فأيقظني للعشاء فلم أقدر " [4]

[1] نعماني سامية ، أوضاع الجزائر من خلال رحلتي زاكور الفاسي وأبي القاسم الزياني ، المصدر السابق ،ص، 80.
[2] المرجع نفسه، ص، 81.
[3] أبو القاسم الزياني ،الترجمانة الكبرى ، المصدر السابق ، ص ، 163.
[4] م نفسه، ص، 151.

كل هذا كان له تأثير على الجزائر فانتشار الأوبئة والحمى في تلك الفترة كان في أواخر العهد العثماني (1799/ 1830).

لم تكن الجزائر بالنسبة للزياني محط رحاله بل اعتبرها مركزا علميا يستقطب طلاب العلم من أجل التطلع والبحث عن المعرفة والتفقه في الدين عملا بما جاء في القرآن الكريم لقوله تعالى : "وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ " . [1]

لقد أخذ الزياني عن بعض الشيوخ والعلماء أثناء رحلته ففي قسنطينة أخذ عن أبي البركات سيدي مبارك ، وأبي الحسن علي ابن مسعود الونيسي من فقهاء الصوفية بقسنطينة ومحمد الحفصي القسنطيني الذي كان حافضا للحديث ، كما استأنس بمحاضرات وأدب أبو القاسم المحتالي الذي كان من كبار القضاة بقسنطينة .

كان الزياني يحضر مجالس العلم ويذهب الى المساجد من أجل الصلاة ولقاء الفقهاء فمن بين المساجد التي ذكرها أثناء تواجده في الجزائر ، مسجد أبي مدين بالعباد يقول : " ...ونزلت بجوار أبي مدين بالعباد ، واخترت العزلة عن العباد " [2]

وهذا دليل على أن الجزائر كانت منهل العلم والعلماء وكانت " المساجد منشطا للحياة العلمية والاجتماعية كما قال أبو القاسم سعد الله وقلب القرية في الريف وروح الحي في المدينة "[3]

ثالثا : أهم الرحالة الغرب الذين تحدثوا عن الجزائر:

عرفت الجزائر إبان العهد العثماني توافد الكثير من الأجانب كالقناصل ، والرحالة والأسرى والعلماء والجغرافيين ورجال الدين والكثير منهم تركوا لنا مذكرات وكتب تتحدث عن المدن الجزائرية أثناء تواجدهم بها حيث وصفوا لنا المدن وأنظمة الحكم السائدة في الجزائر والأوضاع السياسية والعسكرية والاجتماعية المختلفة من عادات وتقاليد وكذلك الأوضاع الاقتصادية والجغرافية بما فيها من عدد السكان بالإضافة الى اعجابهم ببعض المدن ووصفها وعلى سبيل الذكر لا الحصر سوف نذكر بعض هؤلاء الرحالة الغربيين

[1] القرآن الكريم، سورة التوبة، الآية 122.

[2] أبو القاسم الزياني ،الترجمانة الكبرى ، مصدر سابق، ص ، 144.

[3] م نفسه، ص، 244.

والذين كانت لهم خلفيات مختلفة وأغراض دفينة تحت لواء التطلع والاكتشاف والبحث فمنهم : مار مول كار بخال ، لوجي دو تاسي ، جوهان أرنست هابنسترايت .

1-رحلة لويس ديل مارمول كاربخال (Luis deL Màrmol Carvajal) : رحالة وسائح ومؤرخ وراهب اسباني ولد بغرناطة في أوائل القرن السادس عشر وخرج من مسقط رأسه وهو حديث السن ، فسار في جيش الإمبراطور شار لكان الذي غزى تونس سنة 942هـ / 1535م ، وحضر احتلال هذه المدينة وما جرى فيها من أعمال السلب والنهب وهتك الأعراض وتدنيس الحرمات من طرف الصليبيين وبعد مغادرة الأسطول الإمبراطوري لتونس ، بقي مارمول في شمال افريقيا يقوم بمهمة كلفه بها شارلكان ، وطال مقامه في هذه البلاد نحو اثنين وعشرين سنة ، أسر خلالها من طرف الشرفاء السعديين ، وبقي عندهم أسيرا سبعة أعوام وثمانية أشهر ، يسير في ركابهم أينما ساروا عبر بلاد سوس الأقصى والصحراء او في منطقتي فاس وتلمسان وغيرها من الجهات التي تقلبوا فيها " [1]

استطاع كاربخال أن يؤلف كتابه " وصف عام لإفريقيا " باللغة الإسبانية الذي كان مبنيا في أساسه على ما كتبه الحسن الوزان في كتابه " وصف افريقيا " الذي سوف نتطرق اليه في الفصل الثاني كنموذج يصور لنا المدن الجزائرية التي زارها .

في مستهل حديثه وصف الرحالة كار بخال بلاد البربر والتي اعتبرها القسم الأول من افريقيا ما يهمنا هو التركيز على المدن الجزائرية وما قدم لها من مشاهدات وأوصاف من كل الجوانب .

شهدت الجزائر تحولات تاريخية عبر العصور وخاصة في العهد العثماني حيث كان هناك صراع بين الدولتين العثمانية والإسبانية حول السيطرة على المناطق الضعيفة ذات الثروات الكثيرة بما فيها الجزائر والمدن العربية الإفريقية " فالجزائر بلد صعب المراس فهي واسعة الأرجاء و غنية بالموارد الطبيعية التي يسيل لها لعاب رجال الأعمال ، وهي بلد ذات عمق كبير في المغرب العربي والعالم العربي وافريقيا " [2]

لقد قدم مار مول كار بخال معلومات ومعارف في غاية الأهمية عن المدن الجزائرية في مختلف الميادين ، ولعل أهمها مدينة وهران التي كانت تعتبر مركزا اقتصاديا مهما في تلك الفترة ،" فهي عنده قديمة بناها السكان الأصليون اضافة الى معلومات جغرافية وعمرانية واقتصادية لم يغفل عليها تخص المدينة

[1] مارمول كاربخال ، إفريقيا ، ج1 ، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، دط ، الرباط ، المغرب ، 1404/ 1984 ، ص04.

[2] ينظر ، أبو القاسم سعد الله ، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج3 ، دار البصائر الجزائر ، دط ، 2007 ، الجزائر ، ص169.

وضواحيها ثم يلقي الضوء على كيفية هجوم الكاردينال خيمينيس عليها واكتفي بذكر ما سماه الاتفاق بين عامل المرسى الكبير ويهودي ومسلمين كانوا قائمين على تحصيل واجبات أبواب وهران لحساب أمير تلمسان وهنا نستغرب كيف وضع بعض المسلمين كطرف في الخيانة " .[1]

كان احتلال مدينة وهران من طرف الإسبان سهلا وذلك بسب هذا الاتفاق مع مسؤول الميناء مع اليهودي والمسلمين على أن يسلموا له المدينة مقابل امتيازات وضمانات ، كان هذا الوصف بالنسبة لمار مول كار بخال يخدم خلفية استخبارية ضد المسلمين ويصفهم بالخيانة والجشع والتفكك الداخلي .

ثم ينتقل الى مدينة اخرى وهي مستغانم حيث يصفها في قوله : " مدينة من بناء السكان الأصليين وهي قديمة جدا تقع على سفح جبل يطل على البحر المتوسط ، كما وصف بيوتها الجيدة البناء التي تحتوي على ينابيع المياه وذلك المسجد الواقع في جنوب المدينة ونهر الشلف الذي يمر بشرقها وقد نصبت حوله عدد من الرحى مع وجود أشجار الكروم والتين يقول عن واد الشلف : " الشلف نهر كبير ينبع من جبال ونشريس ، ثم ينحدر مارا بسهول خالية بين تنس وتلمسان ، ويذهب ليصب في البحر المتوسط قرب مستغانم من جهة الشرق ، وصيد السمك طيب في مصبه ..." [2]

ويضيف في وصفه الى السكان الذين يقطنون بضفاف هذا النهر بأنهم أعراب أثرياء شجعان يسمون أولاد سعيد . ومن جهة أخرى يصف كار بخال أهل مستغانم بأن أغلبهم نساجين وفلاحين والعرب اخضعوا مستغانم لهم فغادرها أهلها ، كما تحدث عن العرب من بني هلال الذين قسمهم الى قبائل نذكر بعضهم في اختصار " منهم بنو عامر القاطنون بين تلمسان ووهران حيث يطلق عليهم شرفاء مليانة ...وهم أثرياء مسيطرون على برابرة الحقول ، اضافة الى أولاد عروة القاطنون على حدود مستغانم ويصفهم بالتوحش واللصوص حيث يقول عنهم " وهم متوحشون من كبار اللصوص يعيشون في اضطراب دائم ولا يبتعدون أبدا في الصحاري اذْ ليس لهم ملجأ أمين ولا يجدون أحدا يرغب في استأجاهم وأسوأ من ذلك لباسهم الرديء " [3]

ويضيف قائلا عن " عمارة عقبة القاطنون في حدود مليانة ويساعد هؤلاء القوم أحيانا ملوك تونس مع أنهم لصوص قساة كالآخرين .أما اولاد هبرة يسكنون في السهول بين وهران ومستغانم وهم فلاحون يأدون الإتاوة لملك تلمسان ووالي وهران أما عمارة مسلم والتي تمتد مساكنهم الى مملكة بجاية وهم ايضا لصوص

[1] فاتح بلعمري ،المدن الساحلية الجزائرية في القرن 10ه/16م ، عند مار مول كار بخال وأبي الحسن التمقروتي -دراسة مقارنة – جامعة مسيلة ، الجزائر، المجلة التاريخية الجزائرية ، المجلد 06 ، العدد1 ، 2022 ، ص 537.

[2] مار مول كار بخال ، افريقيا ، ج 1، المصدر السابق ، ص38.

[3] م نفسه ، ص 103 .

كبار. في حين يصف أولاد رياح الذين ينتمون الى قسنطينة فهم أشجع الناس وأغناهم في مملكة تونس وأما أولاد سويد المقيمون في الصحراء بين اقليم تنس ونوميديا ولهم شهرة كبيرة وسيطرة على البربر لأنهم شجعان حاذقون " [1]

لقد صور مار مول كار بخال سكان شمال افريقيا بما فيها الجزائر والمدن الجزائرية التي كانت خاضعة لتونس (قسنطينة ، بجاية) ووصفهم بالوحشية وعدم التحضر فهذا يعكس نظرته الاستعلائية التي تهدف الى تشويه صورتهم والتركيز على مايراه غريبا حسب معايير وهذا يرفع من معنويات الجيش الاسباني وتبريراحتلالهم لهذه المناطق كما يبرز التفوق الثقافي الأوروبي .

أما مدينة الجزائر فقد تحدث عنها مارامول وعن قصورها وثكناتها وحصونها وكذا ساحاتها وثكناتها وأزقتها ومساجدها ووصف أهلها وسهولها مثل سهل متيجة ، ثم ذكر بعض الجوانب السياسية منها هجوم شارلكان على مدينة الجزائر وكيفية استلاء بربروس على صخرة الجزائر يقول " ويقطن أولاد ثعالبة في اقليم الجزائر ، بينما يعيش أكثرهم نبلا في سهول متيجة وكان الذين يسمونهم من بينهم بني تومي سادة الجزائر وتدلس عندما فتح بربروس هاتين الإمارتين مع بني عامر وأتراك الجزائر وقضى على هذه السلالة التي كانت من الشجاعة والمجد بمكان " . [2]

تعتبر هذه القبيلة من القبائل البارزة في الجزائر العاصمة وكانت لهم شجاعة فائقة الا أن هذه القبيلة تعرضت لهجومات من طرف القوى العثمانية مما أدى الى تشتتها والقضاء عليها .

علاوة على ذلك يبرز الرحالة كار بخال بعض الجوانب السياسية للجزائر خلال العهد العثماني حيث تحدث عن تحرير بجاية من الإسبان " انه عام 1555م قام صالح رايس بمحاصرة بجاية من البر بأربعين ألف من المقاتلين ، وبعد ان اقتحم الحصن الإمبراطوري الذي غادره الإسبانيين ، حاصر حصن البحر ولم يكن بداخله سوى أربعين من الجنود ، وبعد ضربه مدة 22يوما ، تعذر الصمود على من بداخله فاضطر قائدهم ألفونسو الى الاستسلام بعد أن أخد عهدا بإخلاء سبيله ،لكن ألفونسو لما عاد الى اسبانيا قطع شارل الخامس رأسه هو ومن نصحوه بالاستسلام ومنذ ذلك الوقت وبجاية تحت حكم الأتراك " [3]

[1] ، مار مول كار بخال ، افريقيا ، ج 1، مصدر سابق ص 103، 104.

[2] م نفسه ، ص 109.

[3] حواء حنكة، وصف الرحالة الأوروبيين للوضع السياسي في الجزائر خلال العهد العثماني ، الجزائر ، مجلة دراسات وأبحاث المجلة العربية للأبحاث والدراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية ، مجلد 15، عدد1 ، جانفي 2023م ، ص 11.

على صعيد آخر يصف كار بخال مدينة سكيكدة ففي البداية ذكر الجذور التاريخية الأولى والموقع الجغرافي حيث قال : " مدينة عتيقة بناها الرومان فوق جبل عال يمتد طرفه الى البحر عند خليج نوميديا ، تقع شمال قسنطينة على بعد اثنى عشر ميلا منها .جعلها بطليموس عند تسع وعشرين درجة طولا واثنتين وثلاثين درجة وثلاثين دقيقة عرضا ، واسمها عنده طاكاسي كان القوط قد دمروها ولكن وجود مرسى جيدا بها جعل التجار الأوروبيون يقصدونها " [1]

من خلال هذا الوصف يتضح أن كار بخال يحمل معلومات مشوهة اذْ أنه لا يفرق بين سطوره كميناء ومدينة روسي كاد العتيقة أو سكيكدة مثل ما يسميها جاعلا من كلاهما مدينتين مختلفتين بنفس الوصف تقريبا ، وهو ما يدفع الى الاعتقاد بأنه لم يزد عن نقل كلام الحسن الوزان مع اضافة بعض المعلومات البسيطة مثل تحديده لموقع قسنطينة .

من الشرق يوجد جبل سطوره الذي يمتد نحو البحر ينحدر فعلا ليكوّن رأسا صخريا يشكل خليج سكيكدة وهذا التشكل يجعل الميناء محميا طبيعيا .

ومن جهة أخرى يصف مدينة القل يقول " مدينة عتيقة يقال أنها من بناء الرومان ، جعلها بطليموس عند سبع وعشرين درجة طولا وإحدى وثلاثين درجة عرضا وزيادة خمس وأربعين دقيقة ويسميها مدينة القل العظمى .وموقعها عند قدم جبل يمتد على ساحل البحر في خليج نوميديا ، كانت في الماضي كثيرة السكان ، وكانت لها أسوار عالية ، هدمها القوط عندما انتزعوا المدينة من الرومان وكانت مركزا للتجارة ومقرا لعدد كبير من الصناع والتجار " [2]

هذا الموقع الجغرافي الذي اكسب المدينة استقطاب التجار من أوروبا اليها والصناع من أجل شراء الشمع والجلود وغيرها من البضائع المتوفرة فيها .

كما أن كار بخال أعطى عناية بسكان هذه المنطقة اذْ اعتبرهم طيبون وذلك لتعاملهم التجاري مع اوروبا ومعظم بلادهم جبال يسكنها برابر وزواوة ويتميزون بالشجاعة والإقدام اضافة الى ذكر الأراضي التي تكثر فيها الحنطة والحيوانات مثل المواشي والفواكه المختلفة .

2- رحلة لوجي دوتاسي : (Laugier de Tassy): رحالة ورجل سياسي فرنسي عاش فيما بين القرنين 17م و 18م . " زار الجزائر عام 1718م بعد تعيينه مستشارا للقنصلية ، وغادر بعد اقامة دامت ستة أشهر من

[1] كار بخال مارا مول ، إفريقيا ، ج3 ، تر: محمد حجي ، محمد زنير ، محمد الأخضر ، أحمد التوفيق ، أحمد بن حلوف ، الرباط ، المغرب ، دار نشر المعرفة للطباعة والتوزيع ، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر ، 1984 ، ص 07.

[2] كار بخال مارا مول، إفريقيا، ج3، مصدر سابق، ص، 6.

المرجح أن مغادرته المفاجئة كانت بسبب الوباء والمجاعة التي اشتدت واستفحلت بالإيالة ذكر دي غرا مونت أنه وبعد استلام محمد بن حسن منصب داي الجزائر عام 1718م إضافة الى ما كان موجود في الإيالة من الاضطرابات السياسية والعلاقات الخارجية المتقلبة ، ظهر قحط شديد ومجاعة الى الحد الذي بيع فيه لحم البشر في الأسواق هذه المجاعة التي اشتدت واستمرت لثلاث سنوات كاملة ، بعد عودته لبلاده بسنتين نشر كتابه " تاريخ مملكة الجزائر حكومتها وقواتها البرية والبحرية ومداخيلها ، الشرطة ، القضاء ، السياسة ، التجارة " .[1]

تضمنت أوصاف لوجي دو تاسي عدة جوانب عن إيالة الجزائر في شمال افريقيا ، وضع حدود مملكة الجزائر فتناول جغرافية الجزائر وتضاريسها ، سواحلها مرتفعاتها ، وقدم كذلك وصف للمقاطعات الإدارية التي كانت في الجزائر.

لقد أشار دوتاسي في مستهل وصفه للموقع الجغرافي لمدينة الجزائر " فهي تقع على 36 درجة و30 دقيقة طولا وتمتد على ساحل المتوسط بين تنس وبجاية ، وتبدوا حسبه في شكل سفينة شراعية ناصعة البياض . من ناحية أخرى أكد دوتاسي على مكانتها السياسية والعسكرية خلال تلك الفترة ، اين أين أصبحت تمثل عاصمة الدولة تتمظهر بها رموز السلطة السياسية وقوتها العسكرية البرية والبحرية " .[2]

ذكر هذا الرحالة أن العرب المسلمون هم الذين أطلقوا اسم الجزائر على المدينة وهي تعني الجزيرة وذلك لوجود جزيرة أمامها تسكنها قبائل بني مزغنة ولهذا سماها العرب حوالي القرن 7م جزائر بني مزغنة "

على الرغم من أن اقامته في المدينة لم تتعدى سبعة أشهر إلا أنه استطاع أن يجمع بين كثير من الأوصاف والوقائع والأحداث في جوانب متنوعة حول مدينة الجزائر .

فمن الناحية العمرانية تبدوا أبواب مدينة الجزائر وحصونها في نصوص لوجي دو تاسي وكأنها بناء مغلق ومحصن ، يصعب اختراقه يتضح ذلك في وصفه لأبوابها الخمسة وأهم الحصون والأبراج التي تتنوع بها من مختلف الجهات حيث حدد موقع هذه المعالم ومع ذكر مميزات كل واحد منها عل النحو التالي :

- باب البحر : تقع في الجهة الشرقية للمدينة علقت بها خمسة أجراس جلبت من وهران عند تحريرها الأول من الإحتلال الإسباني سنة 1708م احتفالا بالحدث .

[1] حواء حنكة، وصف الرحالة الأوروبيين للوضع السياسي في الجزائر خلال العهد العثماني، المصدر السابق، ص05.

[2] م نفسه ، ص 114.

- باب الجزيرة : تقع الى ناحية الجنوب قليلا من باب البحر تشكل منفذا يؤدي الى الميناء ، كما توجد بها ورشة لصناعة السفن البحرية .
- باب عزون : توضع في الوسط، أسوارها مزودة بالتاريس أو المسننات الحديدية أين يعلق المدنيين والمتمردين
- باب الجديد : تقع في الجنوب الشرقي وتدي الى قصر الإمبراطور .
- باب الواد : في الشمال وتقع خارجها مقبرة المسيحيين أو أماكن خاصة لعقاب المخالفين من اليهود والمسيحيين "، أما الحصون فنجده يصف حص الإمراطور الإسباني شارلكان الذي عسكر بهذا الموقع في حملته على مدينة الجزائر عام 1541م ، ويعرف أيضا ببرج الطّاووس وبرج مولاي حسن ، وهو أهم حصون المدينة ، شُيّد على جبل بجنوب الجهة الغربية للمدينة، اضافة الى حصن قصر النّجمة أو الحصن الجديد : الذي أسس على احدى الرّوابي جنوب غربي المدينة في القرن 16م من طرف حسن باشا ، تهدّمت أجزاء منه بسبب هجومات الحامية الإسبانية وقد حرص حكام الجزائر على إعادة ترميمه عدة مرات " [1]

وشوارع المدينة تبدوا ضيقة مزرية وهذا ما أثار انزعاج لوجي دوتاسي اذْ يقول : " إذا ما استثنينا شارع واحد يمتدُّ من شرق المدينة الى غربها أين تتنوع محلات التجار الرئيسيين ، فإن باقي الشوارع عبارة عن أزقة ضيقة لدرجة أنه لا يمكن لشخص المرور بها دون التلامس وهي منخفضة من الوسط ونتنة جدا بسبب مرور عدد من الجمال والأحصنة والبغال والأحمرة المحملة بالأمتعة " .[2]

أكد لوجي دو تاسي على دور الزلزال كعامل أساسي تسبب في ضيق شوارع مدينة الجزائر ، كما أشار الى زلزال 1717م العنيف الذي كان سببا في تحطيم البنايات وتشقق الطرقات واخلاء المدينة بأكملها باستثناء الداي وحاشيته وضباط الدولة .

كما اهتم دو تاسي بوصف المنازل والدور والعمران التي تميز مدينة الجزائر " فهي مبنية بالحجارة والآجر ، يوجد في وسطها فناء كبير مبلط مربع الشكل ...وأبواب الغرف غير مرتفعة بالشكل الكافي وعادة ما يلامسها طويل القامة عند دخوله فيضطر الى الانحناء في حين تستعمل أسطح المنازل للجلوس وقت الفراغ لتجادب أطراف الحديث كما يخصص بها مكان لتجفيف الملابس بتعريضها لأشعة الشمس...اذْ ميز هذا الرحالة بين منازل الباشوات والدايات ومنازل العامة حيث تختلف من حيث طرازها المعماري وهي موجودة

[1] بتصرف : حفيظة خشمون ، مدينة الجزائر في القرن الثامن عشر من خلال ملاحظات المستشار الفرنسي لوجي دو طاسي ،مجلة الدراسات ، جامعة 20أوت 1955م ، سكيكدة ، ع1 ، (2024)، المجلد 15 ، ص ، 114، 115.

[2] م نفسه ، ص، 116.

بكثرة في المدينة فهي تنفرد بجمالها لأنها مرصعة بالرخام من الأعلى الى الأسفل وجدرانها منحوتة ومصبوغة ومدهنة"[1]

لم يقتصر لوجي دو تاسي على وصف البيوت وحدها بل تطرق أيضا الى تحديد بعض المراكز العمومية المتواجدة في المدينة مثل مراكز التعليم والمساجد والثكنات العسكرية ، والسجون ، والفنادق والحمامات وغيرها إذْ تعتبر المساجد والمدارس هي المراكز التي تميز المدن الإسلامية عن غيرها ،أشار لوجي دو تاسي " بأنه شاهد بالمدينة عشرة مساجد كبرى وخمسين مسجدا صغيرا وثلاثين مدرسة كبيرة لتعليم الأطفال وكانوا يتعلمون القراءة والكتابة في وقت واحد حيث يعيدون كتابة الحروف بالريشة في الوقت نفسه يتعلمون أصوات هذه الحروف بالتكرار الى أن يتقنوها "[2]

هذا الجانب هو المهم في الحياة اليومية بالنسبة للجزائريين وغيرهم من أجل نمو أبنائهم وتعلمهم وتطوير ثقافتهم وأفكارهم الى الحد المرغوب وكثرة هذه المراكز تدل على التزام الجزائريين بتعزيز الحياة الدينية والتعليمية.

لاريب أن هذا الرحالة قد جاب كل الأرجاء والأماكن في الجزائر من أجل الوصول الى المعلومات المرادة فقد حدد أيضا عدد الثكنات العسكرية في تلك الفترة " إذْ توجد خمس ثكنات لإقامة الجنود العزاب بمدينة الجزائر وقد تأسست كلها سنة 1650م يقيم في كل واحدة منها 600 جندي بمعدل ثلاثة جنود في كل غرفة وتوجد في كل ثكنة عيون للغسيل والوضوء "[3]

فهنا يتضح أنه يحمل خلفية استخبارية تمس الجزائر من كل الجوانب .لأنه لم يغفل عن أي شيء حتى داخل البيوت والمرافق العمومية قد تحدث بكل ما يجري داخلها و حولها .

وعلاوة على ذلك تحدث لوجي دو تاسي عن السجون التي كانت تأوي أسرى البايلك أو الحكومة حيث ذكر " بأن عددها خمسة 05 وهي واسعة يديرها الحاكم الرئيس "[4]

هذا يعني أن السجون كان يتحكم فيها المسؤول عن المدينة ولا يمكن لأحد غيره أن يصدر أحكام أو يتدخل في السجناء والأسرى اضافة الى وجود الملاهي والخمارات داخل هذه السجون الخاصة بالمسيحيين وقد نفى وجود هذه المراكز بالجزائر كما تحدث عن معاملة الجزائريين للأسرى إذْ وصفهم بأخلاق راقية

[1] حفيظة خشمون ، مدينة الجزائر في القرن الثامن عشر من خلال ملاحظات المستشار لوجي دو تاسي المصدر السابق 16.

[2] م نفسه، ص 117.

[3] م نفسه ، ص118.

[4] م نفسه ، ص118.

تليق بهم مثل "التسامح والرأفة بالسجناء المسيحيين مقارنا ذلك بمعاملة الإسبان للجزائريين ، عندما احتلوا وهران ، فالجزائريون يرأفون كثيرا بأسراهم ...كنت سجينا بإسبانيا سنة 1706م وقد عوملت بقسوة شديدة مجردة من كل معاني الإنسانية وهو ما يجعلني أفضل قضاء عشرة سنوات عبودية في الجزائر على سنة واحدة بسجون اسبانيا "[1]

يعني هذا أن الرحالة دو تاسي قد صور الجزائريين صورة حقيقية فالجزائري لا يحب الظلم ولا يحب العبودية لذلك يظهر التعاطف والتسامح في معاملاتهم مع الأسرى بخلاف الإسبان الذين يعاملون الأسرى الجزائريين بكل قسوة وتوحش وظلم .

ثم ينتقل دو تاسي تاسي إلى وصف الفنادق والحمامات " و يعتبر أن الفنادق عبارة عن مباني ضخمة ، بها ساحات وبعض المتاجر وغرف للنوم والإقامة يمتلكها بعض الخواص ، يقصدها التجار الأتراك ويقيم بها بعض الجنود الذين لا يرغبون في العيش داخل الثكنات ويكون ذلك على حسابهم الخاص "[2]

في حين نجد ما يثير انتباهه " هو كثرة الحمامات المتعددة منها الخاصة بالنساء وكذا الخاصة بالرجال ومعرفة خباياها من الداخل وقد أتيحت له فرصة لاكتشافها بمعية القنصل الفرنسي Baume والترجمان ابراهيم خوجة فقام بوصفها وصفا دقيقا وخاصة غرف الحمام وقاعات الملابس وطريقة الاستحمام مما أثار استغرابه في كيفية الدلك العنيفة التي تدوم حوالي نصف ساعة من طرف الزنوج الذين يمتهنون هذا العمل "[3]

لقد كان الجزائريون يهتمون بالنظافة والطهارة وهذا أمر ضروري على كل مسلم وهذه الصفة لم تكن موجودة الا عند المسلمون الذي يهتمون بالصلاة والطهارة .

وفي سياق آخر اهتم أيضا بعدد السكان فأعطى معطيات تقريبية بحث " قدر مجموع القاطنين بمدينة الجزائر بمائة ألف (100000) ساكن بما فيهم خمسة آلاف(5000)عائلة يهودية أصلية بالبلاد، هذا بدون احتساب الأعداد الكبيرة التي تخص المسيحيين " [4]

[1] حفيظة خشمون ، مدينة الجزائر في القرن الثامن عشر من خلال ملاحظات المستشار لوجي دو تاسي المصدر السابق ص118.

[2] م نفسه ، ص120.

[3] م نفسه ص 121

[4] بتصرف، م نفسه، ص121.

هنا يؤكد دو تاسي على تنوع الأعراق والديانات والأجناس مما يسهل له عملية التطلع والتجسس عن كل أخبار الدولة فكان المجتمع الجزائري عبارة عن مزيج من الشعوب منها الأتراك ، والكراغلة ، الأعلاج ، الأندلسيين ، اليهود والمسيحيين وهذا التنوع العرقي يعكس تعددية في الهوية الجزائرية.

من الناحية السياسية والتي ألحقت الجزائر بالدولة العثمانية عندما دخلها الإخوة بربروس وأعلن عروج نفسه ملكا بعدما توفي أخوه خير الدين الذي اعترف بسيادة الدولة العثمانية على الجزائر ، فقد تحدث لوجي دوتاسي عن كيفية استيلاء الأخوين عروج وخير الدين على الحكم في الجزائر مهملا أي سبب ديني أو سياسي قائلا : " ان عروج اغتال ابن التومي لأنه أعجب بزوجته ظفيره فقتله بغرض الزواج منها "[1]

كانت نظرة دو تاسي هنا للأوضاع السياسية سلبية غير منطقية فهو لم يشير الى هؤلاء الأخوين عروج وخير الدين بأنهم لعبوا دورا بارزا في تحرير الجزائر من الإسبان و قدرتهم على بناء أقوى أسطول فمن خلال هذا الوصف يتضح انه يريد التقليل من شأنهم ومن أعمالهم ووصفهم بالضعيف الذي تتحكم فيه العاطفة .

3- الرحالة جوهان أرنست هابنسترايت (Johann Ernst Habenstreit): طبيب وعالم النبات ألماني ولد في 15 جانفي 1702م. في نوشتادار أون اورلا الواقعة بمنطقة الساكس بالممالك الجرمانية درس الطب في شبابه بجامعة ينيا واستقر ببلاي زيغ وتحصل أخيرا على الدكتوراه في الطب عام 1729م . و في جوان 1731 عين في الاكاديمية الالمانية للعلوم في تيوبوندينا .أرسل من طرف الملك البولوني وناخب الساكس أغسطس الثاني على رأس فرقة بحث الى بلدان شمال افريقيا (الجزائر . تونس .طرابلس) تزامنت رحلة هابنسترايت بفترة قد شهدت هيمنة الجزائر على البحر الأبيض المتوسط بعيدا عن التداخل المباشر للسلطة العثمانية التي كانت تشكل آنذاك مركزا للدولة الاسلامية المترامية الأطراف يقول سعيدوني "جاءت رحلة هابنسترايت في شكل رسائل وجهها الى راعي الرحلة ملك بولونيا ومنتخب الساكس يطلعه فيها على ما شاهده أو تعرف عليه أو جلب انتباهه أثناء سفره الى الجزائر"[2]

من الواضح أن رحلة هابنسترايت كانت لغايات تهدف الى معرفة طبيعة المدن التي زارها و البحث عن أهم الحيوانات و النباتات الافريقية و الوقوف على تقاليد السكان وأوضاعهم السياسية و الاجتماعية ممالا ريب فيه أن هابنسترايت قد وصف النظام السياسي في الجزائر في العهد العثماني حيث كانت الجزائر تحت

[1] محمد بوشنوفي ، ظاهرة الصراع السياسي والاغتيالات في الجزائر خلال العهد العثماني (1520-1839م) ، الحوار المتوسطي ، ع1، 2009 ، ص 22.

[2] ج،أ،هابنسترايت ، رحلة العالم الألماني ج،أ،هابنسترايت الى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ -1732م).دط، دار الغرب الاسلامي ،تر: نصر الدين سعيدوني، تونس،2008م،ص16

حكم الاتراك فقد أخضعوا السكان للضرائب و الغرامات المالية بالإضافة الى الهيمنة على الاقتصاد والجيش والادارة ، يقول في هذا السياق "الحكومة بيد الاتراك.....ينظرون الى الجزائريين نظرة يشوبها الاحتقار وينعتونهم بأنهم مجموعة من العصاة والخارجين عن القانون فلا يجندون أحد منهم في الحامية ونفس النظرة تحملها النساء التركيات عن الجزائريين"[1]

كما يضيف في حديثه عن الظروف التي كانت تشهدها الايالة والتي اتسمت عموما بالاضطراب وسوء العلاقة بين السلطة والسكان ،وكذلك أشار الى حالة التمرد التي كانت عليها القبائل والتي تتواجد بمنطقة الشرق حيث كانت في عداء مستمر مع البايلك . وكانت تقوم بالإغارة من حين الى آخر على قبائل المخزن تمرد العرب .

في ما يخص تاريخ الجزائر فقد تحدث هابنسترايت على التغيرات الكثيرة التي عرفتها الجزائر بحيث " كان الإسبان آنذاك يحكمون وهران ، وفي تلك الفترة كان سليم ملك مدينة الجزائر يخشى مواجهة الإسبان فطلب المساعدة من القرصان عروج بربروس ، فاستولى هذا على البلاد الذي استدعى للدفاع عنها "[2]

ثم بعد ذلك يضيف بعض الأحداث التاريخية المهمة في تاريخ الجزائر والتي تمثلت في " حملة شارلكان البائسة على الجزائر(1541)فقد وضعت حدا نهائيا للمخططات الإسبانية الهادفة الى الاستلاء على شمال افريقيا والقضاء على النفوذ العثماني بها واخضاعها للهيمنة الإسبانية "[3]

وأثناء رحلته استطاع أن يحدد أصل سكان الجزائر يقول عنهم " ليسوا كلهم من أصول واحدة ، فالحكومة بيد الأتراك الخلص أي الذين ينحدرون من آباء وأمهات أتراك وهم في الغالب الأوروبيون الذين يأتي بهم القراصنة بالقوة الى الجزائر ...والحضر وهم السكان الأوائل للمدينة ، وقد فرض عليهم الأتراك التبعية المطلقة ...يشتغلون كعمال وتجار أما القبائل المستقرون في البدو يتمتعون بحرية كبيرة وهم عبارة عن قبائل أو عشائر تعيش تحت الخيام و عندما ينتقلون من مكان الى آخر يحملون معهم كل ممتلكاتهم من أقوات ومتاع وحيوانات "[4]

نلاحظ من خلال هذا القول أن هابنسترايت قد قسم السكان الى فئات متنوعة عرقيا حيث اعتبر الحكام وأصحاب السلطة هم الأتراك وهم الطبقة الحاكمة ، والعرب اعتبرهم أهل الحضر والبدو والرحل .

[1] ج،أ،هابنسترايت ، رحلة العالم الألماني ج،أ،هابنسترايت الى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ-1732م) ، المصدر السابق ، ص29

[2] م نفسه ، ص 26.

[3] م نفسه ، ص27- 28.

[4] م نفسه ، ص29- 32.

" أما الأسرى الأوروبيون وأغلبهم من الإسبان والبرتغال وايطاليا وألمانيا فعددهم قليل جدا بمدينة الجزائر ، ويحظون باحترام الأتراك لأنهم تحت حماية احدى الدول الأوروبية التي تكون في حالة سلم مع حكومة الداي "[1]

أضاف الى ذلك أن الجزائر مدينة مأهولة بعدد كبير من اليهود ويسدد كل واحد منهم ضريبة تقدر بريالين في الشهر.

ومن ناحية أخرى أشار هابنسترايت الى الموقع الجغرافي للجزائر ووصف المدينة بما فيها من عمران ومباني وأعطى تفاصيل حول الحياة اليومية بما فيها من أسواق وحمامات ومساجد واعتبر الجزائر من المدن المهمة في افريقيا ، يقول : " بنيت الجزائر على منحدر جبلي وهذا ما جعل أزقتها متدرجة يعلوا بعضها البعض مثل مدرجات مسرح روماني ،وهذا التدرج في أزقتها مع البياض الناصع لمنازلها ذات السطوح المشرفة على البحر هو الذي يكسبها منظرا متميزا جدا ، أما الميناء فهو متكون من قلعة حصينة جدا تعرف ببرج الفنار و من رصيف مبني بالحجارة يربط البرج بالمدينة ...وتوجد أبراج أخرى تدافع على مدينة الجزائر في الأعلى يوجد ما يعرف بحصن الامبراطور ، إضافة الى حصون أخرى مزودة بالمدفعية بالساحل الشرقي للمدينة "[2]

يصف هابنسترايت الموقع الجغرافي للجزائر هذا الموقع الاستراتيجي على منحدر أو تلة تطل على البحر خاصة القصبة العتيقة التي بنيت فوق جبل يطل على البحر وهذا البناء أعطاها منظرا رائعا حيث بدت أزقتها على هيئة مدرجات تصعد من الأسف الى الأعلى.

وفي السياق نفسه يصف هذا الرحالة الواجهة البحرية للجزائر وتحديدا الميناء الذي يعد مركزا تجاريا وبحري نشط فأشار من خلال قوله الى مكونات هذا الميناء والتي تمثلت في قلعة حصينة تسمى" ببرج الفنار "ويسمى أيضا (فنار القصبة) وكذا من رصيف مبني بالحجارة يربط البرج أو القلعة بالمدينة لم يذكر فقط برج الفنار بل أضاف أن هناك أبراج كثيرة والتي كانت تشكل نظاما دفاعيا متكاملا خاصة خلال الفترة العثمانية .

وأحاط هابنسترايت ضمن وصفه للجزائر بخصائص منازلها وحماماتها ومساجدها ، يقول : " أما منازل المدينة فهي منتظمة وبنائها جيد بالنسبة لنوعيتها ...أما الغرف فهي مستطيلة تزينها صور أوراق الأشجار وأشكال المنمنمات المحفورة على الجبس ، وللمنازل أسطح مهيأة لأن تكون مكانا للاستراحة وتشاهد في

[1] ج،أ،هابنسترايت ، رحلة العالم الألماني ج،أ،هابنسترايت الى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ -1732م) ، مصدر سابق 34.
[2] م نفسه، ص36.

المنازل الزهور والنباتات والأثاث الجميل ، والمحافظة عليها تدل على التزام السكان بقواعد النظافة والنظام "[1]

تحدث هابنسترايت عن مباني المدينة بما فيها من منازل وحمامات ومساجد حيث استخدم بعض التعبيرات التي تبرز التنظيم والجمال يقول في هذا الصدد " حمامات مدينة الجزائر مريحة ومزينة ، أما المساجد فهي متقنة البناء منها عشرة مساجد كبيرة ذات منارات أما التي تقل عنها شأنا فعددها يفوق الخمسين وكل من دخل اليها سواء كان مسيحيا أو طائشا ينظر إليه السكان وكأنه اعتنق الإسلام ...فأراضيها مغطاة بالحصائر والزرابي وأبنيتها قوية وهذه المساجد مفتوحة طيلة اليوم لأداء الصلوات وتقام خمس صلوات في النهار والليل"[2]

تتجسد صورة هذه المساجد والحمامات بكونها جزءا مهما في الحياة اليومية و كثرتها دليل على محافظة الجزائريين على صلواتهم ونظافتهم فهي تحافظ على تقاليدهم الدينية والاجتماعية، كما كان لهذه المساجد دور مهم في نشر تعاليم الدين والشريعة والتفقه من طرف الشيوخ الكبار والعلماء .

يبرز الرحالة هابنسترات بعض عادات وتقاليد سكان إيالة الجزائر أثناء رحلته حيث أشار الى " أنها عادات وتقاليد تحددها ضوابط الشريعة الإسلامية ، فالمسلم الصالح يتوجب عليه حسن معاملة أصدقائه كما يُطلب منه أن يكون شديدا مع أعدائه رحيما بالمنهزمين "[3]

أما عادات الجزائريين في معاملة نسائهم فقد أشار هابنسترايت الى تشددهم في ستر المرأة وحجابها ، وقد سرد حادثة وقعت له مع أحد الأتراك صاحب مكانة عالية حيث قال : " ترجاني أحد الأتراك من ذوي المكانة المتميّزة أن أعالج زوجته ، وعندما طلبت منه أن أرى المريضة أجابني من الأفضل أن تموت على أن يراها أحد "[4]

نلاحظ أن الرحالة كان على دراية بكل ما يجري في الجزائر وكان يسجل كل ما يراه من عادات وتقاليد وسلوكيات مثل المرأة المحجبة والحفاظ على لباسها المستور وهذا حفاظا على التقاليد العائلية والدينية .

ومن العادات الدينية يذكر صيام رمضان والاحتفال بالأعياد الدينية إذْ أن الجزائريين يصومون فهم "يمتنعون عن الشرب والأكل اثناء اليوم طيلة الشهر حتى ظهور قمر الشهر التالي ...ومع نهاية شهر رمضان

[1] ج،أ،هابنسترايت ، رحلة العالم الألماني ج،أ،هابنسترايت الى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ -1732م) ، المصدر السابق ، ص37

[2] م نفسه ، ص37- 38.

[3] م نفسه، ص46.

[4] م نفسه ، ص47.

وعند رؤية هلال العيد يُنقل الخبر على جناح السرعة الى الداي ليأمر بإطلاق المدافع اعلانا بانتهاء شهر رمضان وحلول العيد ، ومن عاداتهم في صبيحة اليوم الأول من عيد الفطر أن يذهب الناس الى القاء السلام وتقديم التهنئة الى الأفندي الأكبر أو الداي "[1]

هذه التقاليد تمنح المجتمع الجزائري وحدة متماسكة منسجمة وتشكل جزءا مهمًا من هويته الحضارية.

رابعا:رؤى نقدية حول تأثير الرحّالة ببعضهم البعض (العرب و الغرب خلال القرن 18/16):

لقد تعدد الرّحالة واختلفوا في نظراهتم وتصوراتهم وآرائهم حول وصف الآخر وذلك بتنوع أجناسهم واختلاف عقائدهم فمنهم العربي والغربي ومن بينهم الذي ذكرناهم سابقا بحيث اتضح لنا أن هناك علاقات بينهم في اطار نقدي حيث تجلت في مجموعة العوامل المؤثرة في أدبهم الرحلي ولتبيين ذلك ارتأينا أن نقدم بعض الرؤى حول هؤلاء الرحالة سواء الغرب أو العرب وتصوراتهم المختلفة للآخر سواء من الناحية الثقافية أو العلمية أو الاجتماعية أو السياسية ولعل من اللافت للنظر أن تكون هذه التصورات والتشكلات والاعمال المتولدة نتيجة احتكاك العرب بالغرب وخاصة بعد ظهور الاسلام وكان هذا الاحتكاك نتيجة التصادم و الحروب بين الشعوب وخاصة حروب الاستقلال التي خاضتها شعوب الشرق المستعمرة في العصر الحديث فمن بين هذه العوامل المؤثرة نذكر:

1-**الاستشراق** : " اذا كانت الحروب هي الواجهة العسكرية للصراع بين الشرق والغرب ، فان الاستشراق هو الواجهة الفكرية لهذا الصراع وخلفيته أيضا ، فقد كان المستشرقون هم القوة العلمية التي ساندت القوة العسكرية الغربية التي واجهت المسلمين على مر العصور" [2]

لقد كانت معظم الصور التي قدمها الغرب أو المستشرقون عن العرب بما فيها من تراث وحضارة المجتمع العربي وماضيه عبارة عن صور مشوهة لا تعكس الحقيقة كما وصفوهم بنعوت لا يتصفون بها على الاطلاق .

"ان الرحلات تشكل اكثر المدارس تثقيفا للإنسان فالاختلاط والحياة مع الشعوب المختلفة اضافة الى الاجتهاد في دراسة أخلاقهم وطبائعهم والتحقيق في ديانتهم ونظام حكمهم غالبا ما تضع أمام الفرد مجالا طيبا للمقارنة ، كما تساعده –ولا شك- على تقييم نظم وتقاليد بلده وموطنه" [1]

[1] ج،أ،هابنسترايت ، رحلة العالم الألماني ج،أ،هابنسترايت الى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ -1732م) ، المصدر السابق ، ص48.

[2] دانيال ريغ ، رجل الاستشراق مسارات اللغة العربية في فرنسا، تر: د. إبراهيم صحراوي ،دار التنوير للنشر والتوزيع ،دط ،حسين داي ، الجزائر،2008،ص10

اضافة الى الاستشراق هناك عامل أدى الى تأثير الرحالة ببعضهم البعض والتأثير في طريقة النقل وهي الترجمة اذ نجد بعض الغربيين اعتمدو في تدوين رحلاتهم على ترجمة كتب الرحالة العرب وأسندوها اليهم أو بعضا منها ، مثل مار مول كار بخال قد أخد عن الرحالة الحسن الوزاني فهناك بعض الصور التي تتشابه حرفا بحرف مع وصف الوزان الا ان الخلفيات بينهم كانت مختلفة "وهذا التشابه جعل مضمون الرحلتين يتشابه في شكل نسخة طبق الاصل جعلت الملاحظين في حقل الاستشراق الاسباني يجزمون على وقوع سرقة علمية على المستويين المنهجي و المعرفي تعود الى ما قبل بدايات التأليف لإفريقيا مع سبعينيات القرن (10هـ/17م)"[2]

يظهر لنا من خلال هذين الرحالة قد تأثرا ببعضهما البعض وخاصة في معالجتهما التطبع الاجتماعي أو التأثير والتأثر بين تصويرهم للسكان والطبيعة، مثل وصف الطبيعة ومنها : طبيعة الجبال وتأثيرها على السكان. فقد اقتربا من القاعدة الفلسفية الخلدونية التي ترتكز على السببية في معالجتها التطبع الاجتماعي للأمم و المجتمعات "[3]

- علاقة الحسن الوزان وكار بخال في وصف المدن والتقسيم الطبيعي للأقاليم:

اعتمد كل من الرحالة المغربي الحسن الوزان والإسباني مار مول كار بخال في وصفهما للأماكن التي زاروها أثناء رحلاتهم على الوصف الاقليمي الطبيعي للمناطق وكما هو معلوم أن هذا الوصف مستمد ومقتبس من المنهج الذي سار عليه القدماء في وصف المدن وما يتعلق بالتاريخ ،اضافة الى اعتمادهم على المقارنة الأنثُغرافية في التأريخ للوصول الى هذا المنهج ، إلا أن هناك تفاوتات في النظرة الثقافية والإجتماعية بينهم لأنهما ينحدران من خلفيات ثقافية مختلفة ، فالحسن الوزان كان صاحب خلفية عربية اسلامية عكس مارا مول كار بخال الذي كان يحمل خلفية أوروبية استعمارية ،حيث كان اهتمامه مرتكز على الموقع الإستراتيجي للجزائر وكذا تخلخل الوضع السياسي في ظل حكم العثمانيين ، أما الحسن الوزان فكانت نظرته أكثر تفهما وقربا من الحقيقة اذْ تميز وصفه بالطابع الاجتماعي والديني .

- العلاقة بين وصف ابن خلدون للمدن الجزائرية ووصف الحسن الوزان:

[1] محمود خليف الحياني ،الاستشراق والاستغراب ،السلطة، المعرفة ، السرد ، التأويل ،المرجعيات ،دار غيداء للنشر و التوزيع ، ط1 ،عمان ن 2012، ص26

[2] محمد بومدين ،دور رحلة الاسر في تأصيل مقاربات تفكير التفكير التاريخي وآلياتها الفلسفية عند مار مول كار بخال والحسن الوزاني نموذجا، دورية كان التاريخية ، السنة الخامسة عشرة، العدد السادس والخمسون ،يونيو 2022،ص189

[3] المرجع نفسه ص199

يوجد تطابق بين وصف ابن خلدون ووصف الحسن الوزان اذ يشير ابن خلدون (ت808هـ-1406م)الدارس لأوضاع المغرب الاوسط والذي اختلف المؤرخون والرحالة في ضبط حدودها الجغرافية على غرار هذان الاثنان ، "انه بلد زناتة التي تستقر في الاقليم بين الزاب شرقا وما بين ملوية غربا وقاعدته تلمسان وهي دار ملكه ، واعتبر المنطقة الشرقية من الجزائر الى بجاية ودخولها بلاد صنهاجة وعاصمتها أشير تسكتها قبائل زواوة وكتامة وهوارة [1]

يتضح من خلال هذا التقسيم ان ابن خلدون وقع تحت تأثير عنصر السكان المكون للمنطقة (التقسيم القبلي) كما انه اعتبر تلمسان قاعدة المغرب الاوسط كما اوضح الجانب السياسي لمنطقة تلمسان ، تعتبر قبيلة بنو يفرن من القبائل التي ظلت مشهورة في مدينة تلمسان اذ يعود ها الفضل في تأسيس اقدم مملكة بتلمسان بالمكان المسمى اغادير ، وكانت لهم مشاركات في ثوراتهم الخارجية ضد الولاة الى جانب خالد بن حميد الزناتي .

- العلاقة بين تأثير الرحالة المغربي أبو القاسم الزياني والألماني هابنسترايت :

يوجد اتفاق بين أبو القاسم الزياني في وصفه لمدينة الجزائر مع الألماني هابنسترايت حسب قوله فقد اعتبرها من أهم المدن في شمال افريقيا والتي تعاقبت عليها أقوى الدول فقام هو أيضا بوصفها ويظهر ذلك في قوله " ...وهذا التدرج في أزقتها مع البياض الناصع لمنازلها ذات السطوح المشرفة على البحر هو الذي يكسبها منظرا متميزا جدا، أما الميناء فهو متكون من كم قلعة حصينة جدا، تعرف ببرج الفنار ومن رصيف مبني بالحجارة يربط البرج بالمدينة "[2]

من خلال قراءتنا للرحلة تبين لنا أن الرحالة هابنسترايت قد أعطى أوصافا دقيقة لأوضاع الجزائر ويتضح أيضا أنه قام باقتباس بعض المعلومات التي لم يستطع الاطلاع عليها من الرحالة الذين سبقوه فقد اقتبس من كتاب دوتاسي وذلك من خلال قوله : " مداخيل الداي ذات قيمة معتبرة فقد قدرها لوجي دوتاسي مائتي ألف قرش أو فلورين في السنة الجزء الأكبر منها كان يودع في الخزينة الموجودة في مكان أمين لا يمكن لأي شخص الدخول اليه ما عدا الخز ناجي ..."[3]

[1] عبد الرحمان ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عناصرهم من ذوي السلطات الاكبر ، تح: خليل شحادة ، دار الفكر ، ط2 ، بيروت ، 1988 ، ج6 ،ص134

[2] هابنسترايت ، رحلة العالم الألماني ،مصدر سابق ، ص35-36.

[3] م نفسه، ص 41- 42.

وفي الأخير يمكن أن نستنتج أن أدب الرحلة هو مرآة ثقافية تعكس تمثيلات الرحالة للذات والآخر ، فاذا كانت كتابات الرحالة العرب عبارة عن تصورات نابعة من انتماء ثقافي داخلي ، فإن كتابات الرحالة الغربيين كانت محملة بنظرات استشراقية تتقاطع أحيانا وتتناقض أحيانا أخرى .

فقد قدم الرحالة العرب مثل ابن بطوطة وابن خلدون... أوصافا للمدن العربية وأوضاعها الاجتماعية متعاملين معها كأنها عنصر من الذات الثقافية الإسلامية وليس كآخر مغاير وغريب ونجد هذا يتطابق أيضا مع أبو القاسم الزياني المغربي والحسن الوزان الذي سوف نذكره في الفصل الثاني ، فهم ينحدرون من ثقافة واحدة عربية اسلامية وقد اعتبروا الجزائر والمدن العربية في أوصافهم جزءا من الحضارة الإسلامية ، كما اهتموا بابراز القيم الأخلاقية في الجزائر منتقدين التدخلات الأجنبية الغربية ، في حين تجلت نظرة الرحالة الغربيين في اعطاء صور مغلوطة مشوهة تمس حضارة الشعوب العربية عامة كما اعتبروا الجزائر أو المدن الإفريقية عالم غرائبي مثير للدهشة اذْ نجد هؤلاء الرحالة يصورون الجزائر أو العالم العربي بأن عالم متخلف حضاريا و ثقافيا وأخلاقيا واجتماعيا مجهول يسوده الدمار والأوبئة والفقر والتخلف وغير ذلك من أجل تدنيس صورته والسيطرة عليه .

كان تصوير الرحالة العرب للجزائر متطابق مع الحقيقة (تأريخ واقعي) ، أما الغرب فكان تصويرهم خيالي نقدي غرضه الاستكشاف من أجل الاستعمار والسيطرة .

الفصل الثاني : تجليات صورة الآخر عند الرحالة الحسن الوزان

المبحث الأول: صورة تلمسان

المبحث الثاني :صورة قسنطينة

المبحث الثالث: صورة بجاية و عنابة

المبحث الرابع: أدب الرحلة من محتوى الرحلة والتموقع النقدي

1- رحلة الحسن الوزان: (888-957هـ/1483-1550م)

أ- **التعريف بهذا الرحالة:** هو الحسن بن محمد الوزان المعروف بليون الإفريقي (Lion Africains) ، وهو رحالة أندلسي ولد في غرناطة سنة 1483 أي قبل سقوطها بحوالي 10سنوات هُجرت عائلته واستقرت بمدينة فاس المغربية حيث تعلم بجامع القرويين ، كلّفه سلطان فاس بعدة مهام دبلوماسية مكنته من الترحال واكتشاف عدة أمصار في افريقيا وآسيا سنة 1520اختطفه قراصنة القديس يوحنا في المياة التونسية وقُدم كهدية للبابا ليون العاشر الذي عرف بشغفه للعلم والمعرفة فحرره وأشرف بنفسه على مراسم تعميده ومنحه اسمه وأصبح في ذلك يعرف بيوحنا ليون الإفريقي ، خلال اقامته في القصر البابوي ألف الحسن الوزان كتابا هاما عنوانه

" وصف إفريقيا " ويعرفه أمين معلوف في روايته وهو يتحدث باسمه في مقدمة كتابه "ليونالإفريقي" كالآتي: " أنا الحسن ابن محمد الوزان يوحنا الدومشتي وأدعى ليون الافريقي ولكنني لست من افريقيا ولا من بلاد أوروبا ولا من بلاد العرب وأعرف ايضا بالغرناطي والفاسي والزياتي أنا ابن السبيل وطني هو القافلة وحياتي هي أقل الرحلات توقعا ولسوف تسمع في فمي العربية والتركية والقشتالية والبربرية والعبرية واللاتينية والعامية الايطالية لأن جميع اللغات وكل الصلوات ملك يدي ولكني لا أنتمي الى أي أحد منها فأنا لله وللتراب وإليهما راجع في يوم قريب "[1]

وهو شخصية عربية اسلامية فذة " ينتسب الحسن الوزان الى قبيلة بني زيات الزناتية الواقع موطنها في أقصى غرب بلاد غمار من سلسلة جبال الريف المغربية ، فانتقل مع أسرته صغيرا الى فاس حيث درس على أعلام القرويين وعلى رأسهم آنذاك الإمام محمد بن غازي المكناسي كما تجده يجالس الفقهاء والقضاة في المدن والقرى التي يزورها خلال رحلاته العديدة ، يناظرهم ويناقشهم في نوازل فقهية وفتاوى دقيقة وهو الى ذلك كاتب وشاعر يكتب الرسائل وينظم القصائد فيكون محط اعجاب الرؤساء وينال من عطاياهم ..."[2]

أما عن أهم الرحلات التي فصل فيها في كتابه " وصف افريقيا " وكانت مادة كتابه هي تسعة رحلات وهي :

[1] أمين معلوف ، رواية ليون الإفريقي ، دار الفرابي ، ط1، 1997،لبنان ، بيروت ، ط 09.

[2] الحسن الوزان ، وصف افريقيا ،ج1 ، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر ، دار الغرب الإسلامي ، ط2 ، بيروت - لبنان ، 1983، ص08- 09.

- رحلة الى الشواطئ الغربية القريبة من فاس .
- رحلة الى وسط المغرب ، حيث زار منطقة تادلا وتافزا .
- رحلة الى بلاد السودان ، صحب فيها خاله الذي كان مكلفا به .
- رحلة الى الأطلس الكبير بحيث أنه كلف بمهمة دبلوماسية .
- رحلة الى بلاد حاحا في السنة التالية ، كلف بالاتصال بالأمير لسعدي .
- رحلة من مراكش الى سوس عبر ممر أزمير .
- رحلة الى الحجاز في أواخر عام 1516/921.
- رحلة الى الأستانة ، خرج فيها للقاء السلطان سليم الأول
- الانتقال الى البلاد الليبية والتونسية في طريق الرجوع الى المغرب حيث تم القبض عليه من قبل القراصنة الإيطاليين وأسروه وأخذوه الى نابولي ثم قدموه الى البابا في روما كهدية "[1]

كان للرحالة ميزة خاصة وهي حب المغامرة والارتحال بعيدا عن أوطانهم لمدة تستغرق شهورا وأعواما سجلوا خلالها ما شاهدوه وعايشوه ولعل أبرزهم الشريف حسن بن محمد الوزان المعروف في أوروبا بليون الإفريقي صاحب كتاب " وصف افريقيا " الذي نحن بصدد البحث فيه عن بعض الصور التي تجلت فيه عن الجزائر والمدن التابعة لها مثل : تلمسان ، قسنطينة ، بجاية ، عنابة وغيرها والتي حظيت باهتمام واسع من طرف هذا الرحالة الفذ ، والتي أخذت تنوعا انسانيا واسع النطاق ، من ثقافة وآداب وعادات اجتماعية في مزيج فريد حيث ساهم في وصفها وصفا دقيقا ، من كل الجوانب من حيث مساحتها منشآتها العمرانية ، وحضارتها ، عاداتها وتقاليدها ، ومناخها وتضاريسها .

قسم الحسن بن محمد الوزان الفاسي كتابه " وصف افريقيا " الى تسعة أقسام ، في القسم الأول تحدث عن افريقيا وسكانها بصورة عامة ، وخصص القسم الثاني في كتابه للحديث عن مملكة مراكش إذْ تحدث عن مساحتها وتأسيسها وحوانيتها ومخازن الكتب بها ، أما القسم الثالث فخصص شطرا منه للحديث عن مملكة فاس ، إذْ نجده يتحدث عن تشييدها ووصف منازلها وجامع القرويين منارتها ، ومدارسها ومستشفياتها ، وفيما تعلق بالقسم الرابع فقد أفرده الحسن الوزان عن مملكة تلمسان والتي قسمها الى ثلاث أقاليم الجبال ، تنس ، الجزائر والتي سوف يأتي الحديث عنها أولا في اكتشافنا للصور التي جاءت عنها في كتابه ، كما تطرق في القسم الخامس من كتابه الى مملكة بجاية وسوف نتحدث عنها بعد تلمسان إذْ كانت خاضعة لتونس والتي وصف مدنها مثل قرطاج ، قسنطينة

[1] الحسن الوزان ، وصف افريقيا ،ج1 ، المصدر السابق، ص10.

، تونس ، القيروان ...وتحدث عن الظروف التي أدت الى تشييد هذه المدن ، ومآثرها وأهم الأعمال التي كانت تقوم بها سكانها ، وبعض عاداتهم وتقاليدهم ، وفي القسم السادس تحدث فيه عن طرابلس ، ولبدة وفزان ، والصحراء الليبية والتي قسمها الى خمسة أقسام حسب القبائل المتواجدة في كل قسم، أما القسم السابع فقد خصّصه للحديث عن أرض الزنوج، ممالك السودان الغربي التي حددها في خمس عشرة مملكة .

أما القسم الثامن فأفرده أيضا عن مدينة مصر التي زارها كما قال ثلاثة مرات في طريقه لقسنطينة وصف مدنها وتاريخها ، كما أسهم في حديثه عن مدينة القاهرة ليتحدث في القسم التاسع والأخير عن الأنهار الرئيسية والمخلوقات الغريبة والنباتات والمعادن الإفريقية .

أولا: صورة تلمسان من خلال كتاب الرحالة الحسن الوزان:

أولا وقبل التعرف بالمدينة بدأ الحسن الوزان بذكر الإطار الطبيعي الجغرافي والتاريخي للمدينة يقول : " يحد مملكة تلمسان واد زا ونهر ملوية غربا ، والواد الكبير (الصّمّام) وصحراء نوميديا جنوبا ، وكانت هذه المملكة تدعى في القديم قيصرية ، (موريتانيا القيصرية) عندما كانت خاضعة لسيطرة الرومان ...وتمتد مملكة تلمسان على مسافة ثلاثمائة وثمانين ميلاً من الشرق الى الغرب ولكنها ضيقة جدا من الشمال الى الجنوب ، فبين البحر المتوسط وبين تخوم صحراء نوميديا لا يوجد في بعض النقاط سوى مسافة لا تزيد عن خمسة وعشرين ميلا (40كم) ...وفي هذه المملكة اثنان من المرسى المشهورة هما مدينة وهران والمرسى الكبير ، وكان يقصد هذان الميناءان عادة الكثير من التجار الجنوبيين والبنادقة الذين كانوا يزاولون التجارة الكبرى عن طريق المقايضة "[1]

ثم تحدث عن مناخ المدينة قائلا: " يُكوّنُ معظم مملكة تلمسان أقاليم جافة قاحلة، لاسيما في جزئها الجنوبي، لكن السهول القريبة من الساحل منتجة جدا نظرا لخصوبتها. والجهة المجاورة لتلمسان كلها سهل مع بعض المفازات . حقا انه توجد غربا عدة جبال قرب الشاطئ وكذلك في اقليم تنس وفوق بلاد الجزائر عدد لا يحصى من الجبال غير أنها كلها منتجة "[2]

[1] الحسن الوزان ، وصف افريقيا ، ج2 ، دار الغرب الإسلام ، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر ،ط2 ، بيروت ، لبنان ، 1983، ص 7-8- 9 .

[2] م نفسه، ص10.

تعكس هذه الأوصاف الخاصة بالموقع الجغرافي والمناخ دقة ملاحظات الحسن الوزان واهتمامه بالجغرافيا في تكوين هوية المدينة ، فهذا الموقع بين الجبل والسهل منحها حماية طبيعية مهمة وسهل على التجار طريق الوصول اليها أما المناخ فهو معتدل في المناطق الجبلية فقد ساهم في ازدهار الزراعة والانتاج فيها أما في الناطق الجنوبية فهو مناخ شبه جاف .اضافة الى وصف الجبال وتميزها بكثرة الإنتاج مثل جبل بني يَزْناسن الواقع غرب تلمسان وهو شديد الارتفاع كثير الغابات ، وجبل مْطَغْرة وهو شديد الوعورة والبرودة يقع على بعد ستة أميال عن ندرومة .

ثم انقل بعد ذلك الى وصف الأماكن وأشهر المدن المتواجدة في هذه المملكة ، فلا يوجد الا عدد من المدن والقصور منها : " صحراء أنجاد وقصر تيمزيزدغت الواقع على نهر التافنة ، وقصر إسلي القريب من صحراء أنجاد ، ومدينة تبحريت البائدة ، ومدينة ندرومة ، التي أفادنا أنها قديمة ترجع الى العهد الروماني ، وقد بنيت على أيديهم فوق سهل واسع ، وأنهم قلّدوا في تشييدها طريقة بناء روما ، ولذلك سميت ندرومة أي مثيلة روما " [1]

اضافة الى أراضي ند رومة فيصفها الوزان بأنها خصبة يقول : " فأريافها منتجة للغاية و وتظهر حول ندرومة بساتين عديدة وأراضي مغروسة بأشجار الخروب التي يأكل السكان ثمارها بكثرة ...كما يستعمل العسل في الغداء لأنه موجود بها بوفرة ، وتبدو ا ند رومة الآن (ق.10ه) مزدهرة لكثرة الصناع فيها، ويصنعون فيها على الخصوص أقمشة القطن الذي ينبت بكثرة في الناحية "[2]

من خلال هذا الوصف نلاحظ أن ندرومة كانت مدينة مزدهرة لأنها ذات طابع فلاحي وتجاري في آن واحد ، مما جعلها قاعدة إنتاج زراعي مستدام أما بعدها التجاري فيتضح من اشارات الحسن الوزان الى حيوية أسواقها وانخراطها في شبكات التبادل الإقليمي .

كما خصص الوزان مكانا لوصف المدينتين الساحليتين حنين وأرشكول فيقول عن حنين وهي هنين :

[1] أزهار نيسان، كتب الرحالة العرب والأوروبيين في ذكر محاسن تلمسان، م1، 2011، المجلس السادس، وزارة الثقافة الجزائر، ص23

[2] الحسن الوزان ، وصف افريقيا ، ج2 ، المصدر السابق ، ص 13-14 .

" مدينة صغيرة قديمة، بناها الأفارقة، وهي لطيفة جدا وتتمتع بصيانة كبيرة، وتملك مرسى صغيرا محميا ببرجين وهي محاطة بأسوار عالية وحصينة ولا سيما من طرف البحر وتأتي سفن البنادقة كل سنة على أرباح طائلة بالمتاجرة مع تجار تلمسان التي تبعد عن حنين بأربعة وثلاثين ميلا بـ (45كم) ..."[1]

ويفيدنا الوزان أن سكان حنين في القديم كانوا نبلاء شرفاء ، وأهل صنعة ، كما أن بيوتهم كانت جميلة منمقة بالبلاط الملون ، وكل بيت فيها مهيأ ببئر ذات مياه عذبة ، وفي القرن العاشر كانت المنطقة لاتزال تتألق بإنتاجها الجيد والوفير ، من فاكهة الكرز والمشمش والتفاح والإجاص والخوخ ومالا يحصى من التين والزيتون.

أما أرشكول فكانت كذلك " مدينة كبيرة قديمة بناها الأفارق على صخرة يحيط بها البحر من كل جانب ، وتقع على بعد نحو أربعة وثلاثون ميلا (45كم)"[2]

وعلى خلاف هنين فإن الحسن الوزان أثناء رحلته قد وجد رشغون آمنة وآهلة بالسكان وكان أول حكامها بعد الاسلام سليمان بن عبد الله من العلويين الأدارسة الذين أسسوا فاس ، وتعاقبت على رشغون إمارات كثيرة بعد ذلك ومنهم ملك القيروان ، والمنصور بن أبي عامر من قرطبة وتعرضت الى الخراب بداية القرن الخامس الهجري .

والآن سننتقل الى وصفه للمدينة الكبرى تلمسان والتي صورها الوزان في أحسن تصوير من جميع الجوانب واعتبرها جزءا من أقسام افريقيا الأربعة حيث أنها المملكة الثالثة وهي تتكون من ثلاث أقاليم وهما الجبال ، وتنس ، والجزائر.

يقول عن تلمسان المدينة الكبرى : " مدينة كبيرة وهي عاصمة المملكة لم يذكر تاريخ مؤسسها وخصوصا بعد طرد جنود المنصور بني عامر من المنطقة ، كما ذكر كذلك تضرر تلمسان من جراء الحصار المضروب عليها من طرف أبو يعقوب يوسف في يوم ثاني شعبان عام 5/698 ماي 1299م و أقام في حصارها مائة شهر.وهو ثاني ملوك بني مرين الذي بنى مدينة أخرى شرق مدينة تلمسان تسمى المنصورة."[3]

[1] الحسن الوزان ، وصف افريقيا ، ج2 ، المصدر السابق ، ص 15.

[2] ينظر، أزهار نيسان، كتب الرحالة العرب والأوروبيين في ذكر محاسن تلمسان، مصدر سابق، ص 24-25.

[3] الحسن الوزان ، وصف افريقيا ، ج2 ، مصدر سابق ، ص17- 18 .

يُظهر وصف الحسن الوزان أهمية تلمسان الحضارية والسياسية وخاصة حصارها من طرف أبو يعقوب من أجل ضمها اليه واسقاط حكم بني زيان ، لكن هذا الحصار كان له تأثير على اقتصاد المدينة وسكانها . وكان بناء المنصورة بهدف تعزيز قوّتها وزيادة أسوارها في التحدي السياسي والعسكري.

ثم يذهب بنا الحسن الوزان الى تقسيم أهل تلمسان الى أربع طبقات ولكل طبقة ما يميزها عن غيرها حيث يقول : " ينقسم جميع أهل تلمسان الى أربع طبقات هما : الصناع والتجار والطلبة والجنود ، فيصف التجار بأنهم أناس مصنفون ، مخلصون جدا وأمناء في تجارتهم يحرصون على أن تكون مدينتهم مزودة بالمُؤن على أحسن وجه ، أما الصناع فهم عنده أناس أقوياء يعيشون في هناء ومتعة ويحبون التمتع بالحياة ، على غرار الجنود الذي يعتبرهم ممتازون لأنهم يتقاضون أجرة ملائمة من الملك ، ثم ينتقل الى الطلبة ويصفهم بأنهم أفقر الناس لأنهم يعيشون عيشة بائسة في مدارسهم ، لكن عندما يرتقون الى درجة الفقهاء يُعيّن كل واحد منهم أستاذا أو عدلا أو إماما "[1]

تعتبر طبقة الطلبة عند الوزان هي المهمشة مقارنة بالطبقات الأخرى وخاصة من الناحية المادية وذلك لعدم دخولها مجال العمل ولا يكون الارتقاء إلا بالحصول على مناصب.

وهذا التفصيل بين الطبقات يبرز الحالة الاجتماعية لهذه المدينة إلا أن الحسن الوزان لم يغفل على الجوانب الأخرى مثل الثقافية كوصف اللباس وغيرها يقول : " يرتدي التجار الحضر يون لباسا جميلا يكون أحيانا أحسن من لباس أهل فاس لأنهم أكثر أناقة وسخاء ..والصناع هم كذلك لباسهم جميل إلا أنهم يرتدون لباسا قصيرا والقليل منهم يتعمم ، والجنود يرتدون أسوأ لباس إذْ يضعون على ظهرهم قميصا واسعا عريض الكمين يغطونه بكساء كبير جدا من قماش القطن يلتفون فيه شتاء وصيفا ويلبس الطلبة ثيابا مناسبة لوضعيتهم فالجبلي يلبس لباس أهل الجبل ، والأعرابي لباس الأعراب ، أما الأساتذة والقضاة والأئمة وغيرهم من الموظفين فلباسهم حسن أما الملك فلباسه جميل جدا لائق والجواد الذي يركبه رائع مسروج بفخامة "[2]

يبدوا أن الحسن الوزان قد أعطى صورة حقيقية عن هذه الجوانب والتي تلخّصت في رحلته ضمن الرحلات الاثنوجرافية * المرتكزة على مشاهدته المباشرة .

[1] الحسن الوزان ، وصف افريقيا ، ج2 ، مصدر سابق ، ص21.

[2] م نفسه ، ص 22.

ثانيا : صورة قسنطينة عند الحسن الوزان :

أعطى الحسن الوزان أوصافا شاملة لبلاد المغرب خلال الفترة الأخيرة من العصر الحديث حيث قسمها الى أربعة مماليك حسب نظام الحكم السائد بها ويمكننا أن نتطرق الى مملكة تونس التي كانت نتتمي إليها مدينة قسنطينة وهي ضمن الأقاليم الأربعة ، قدم الوزان أوصافا عديدة عن الحياة اليومية والجوانب الطبيعية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والعمرانية .

أشار في البداية الى تعريف المدينة يقول : " مدينة قديمة بناها الرومان ، نظرا لأسوارها العتيقة العالية السميكة المبنية بالحجر المنحوت المسود "[1]

يبدو ا أنها مدينة قديمة أزلية تعود الى الفترة الرومانية بفضل أسوارها وآثارها العتيقة ،أما عن الموقع وما يحيط بقسنطينة من مظاهر تضاريسية يفصل الوزان فيها في قوله : " وهي واقعة على جبل شاهق ومحاطة من جهة الجنوب بصخور عالية ، يمر عند قدميها نهر اسمه سوف غمار (معنى سوف النهر أو الواد في بعض اللهجات البربرية) ، والضفة الأخرى لهذا النهر محاطة أيضا بصخور ...وفي الجانب الشمالي للمدينة أسوار في غاية القوة ، فهي تقع في أعلى قمة الجبل بحيث أن الصعود الى قسنطينة لا يمكن إلا من طريقتين صغيرتين ضيقيين ، أحدهما الى جهة الشرق والآخر الى جهة الغرب أبواب المدينة جميلة كبيرة مصفحة تصفحا جيدا بالحديد "[2]

هذا الموقع الإستراتيجي في أعلى قمة الجبل ، يجعلها محصنة من الناحية الطبيعية فمن الصعوبة الوصول أو الدخول إليها من طرف العدو ، إضافة الى أسوارها القوية .

فمن الناحية السياسية والاقتصادية يصور الوزان بعض الأشياء وذلك راجع الى اختلاطه بالحكام الحفصيين واطلاعه على الأمور الإدارية بدولتهم ، فوصف الحكام والأمراء الذين تولوها من قبل الحفصيين والأمور السياسية التي تسير عليها المنطقة . وهكذا يضع الوزان مدينة قسنطينة في مطلع القرن العاشر الهجري /16م ضمن الأقاليم والإمارات التابعة لمملكة تونس أو لدولة الحفصيين وكان من عادة ملوك تونس أن يعطو العهد أو حكم قسنطينة لابنهم البكر ، أي الكبير ، يقول في هذا السياق " وكان من عادة ملوك تونس أن يعطوا قسنطينة لابنهم البكر ، لكن الملك الحالي أعطاها تارة لهذا وتارة لذلك من أبنائه ، فقد عهد بها أولا الى ولي عهده الذي توجه بجيشه لمحاربة الأعراب رغبة

[1] الحسن الوزان ، وصف افريقيا ، ج2 ، المصدر السابق ، ص 55.

[2] م نفسه، ص 56.

منه في تحقيق أشاء عظيمة ، وبعده ولى الملك أحد أبنائه اسمه عبد العزيز ، كان شابا جائرا وقاسيا ،فمات بسبب السرطان نخر جنبيه كله ، ثم بعده أعطاها لإبن له كان ما يزال غلاما صغيرا ، لوطيا سكيرا جائرا فثار عليه الشعب وحاصره في القلعة الى أن أرسل إليه أبوه بعض الضباط فحملوه مغلولا الى تونس ، وألقاه أبوه في السجن ثم عين الملك نائبا له على قسنطينة رجلا صالحا ابن أحد الموظفين الملكيين الساميين اسمه فرح كان مسيحيا وأسلم ، فكان الملك يستعين به في أهم الأمور المتعلقة بالمصلحة والإدارة ، فسُر السكان بهذا النائب الأمين المتواضع في حكمه "[1]

هذا يعني أن الوزان قد لاحظ تغيير الحكام أو منح السلطة للأبناء وهذا يعكس طبيعة النظام السياسي المبني على أساس القربى وليس على حساب الكفاءة.

وفي السياق نفسه يصف الوزان نائب آخر لقسنطينة وهو أيضا مسيحي وأسلم اسمه القائد نبيل ، يقول عنه " وكان على جانب عظيم من الدهاء ، فبثّ دسائس خطيرة بين السكان حتى تمكن من تسيير المدينة كما شاء بالإضافة الى أنه دخل مساومات مع الأعراب المجاورين حتى أصبحوا يعيشون على حذر منه مع أنهم كانوا يعدون من أنبل العرب بإفريقيا وأشدهم بأسا ...وذهب الغرور بعد ذلك بنبيل الى أن ضرب السكة باسمه من تلقاء نفسه فكان أفضل من سكة الملك ، ولما علم الملك بذلك استدعاه على عجل فلم يستجب للدعوة ...وانتهى الأمر بنبيل الى ارتكاب مظالم شتى تجاه الشعب حتى ثار عليه في وقت كان مشتغلا في نوميديا ، وعند رجوعه لم يتمكن من الدخول اليها فأضطر الى الذهاب الى تونس مستجدا بالملك الذي ألقاه توًا في غياهب السجن وفرض عليه غرامة قدرها مائة ألف مثقال "[2]

مما نستنتجه سابقا أن مدينة قسنطينة كانت خاضعة للسلطة التونسية وكان حكام الحفصيين يفرضون سيطرتهم على بعض المناطق المجاورة بما في ذلك قسنطينة .

اضافة الى الجانب الإجتماعي الأخلاقي فنجد الرحالة الوزان يمدح الشعب القسنطيني حيث يقول : "و القسنطنيون شجعان مقاتلون خصوصا منهم الصناع وفيها عدد كبير من التجار الذين يتعاطون تجارة الاقمشة الصوفية المصنوعة محليا. [3]

[1] الحسن الوزان ، وصف افريقيا ، ج2 ، المصدر السابق ص 57 .

[2] م نفسه ، ص57-58

[3] م نفسه ، ص56.

بالإضافة الى الجانب الإقتصادي الذي لم يغفل عنه الرحالة وهذا راجع الى أغلب الرحالة والجغرافيين قد اهتموا بالجانب الطبيعي و الاقتصادي وجميع النشاطات المختلفة للسكان اذ يقول فيما يخص الزراعة "والأراضي الزراعية المحيطة بالمدينة كلها جيدة خصبة ويبلغ انتاجها ثلاثين ضعف ما يزرع فيها ، وتوجد أيضا في السهل على طول النهر بساتين في غاية الجمال ، الا أنها لا تنتج كثيرا من الثمار لأنهم لا يحسنون خدمتها [1]

ثالثا : صورة مملكة بجايةوعنابة :

يذهب بنا الوزان في رحلته الى مملكة أخرى المسماة بجاية حيث خصص لها جزاء سماه مملكة بجاية .

فوصف لنا سكانها وحالتهم الإجتماعية ومدى تطور حضارتها، يقول عنها: "مدينة عتيقة بناها الرومان.... في منحدر جبل شاهق على ساحل البحر المتوسط ، تحيط بها أسوار عالية متينة ، وتناهز كوانينها ثمانية آلاف ، ..فيها جوامع كافية ومدارس يكثر فيها الطلبة وأساتذة الفقه والعلوم بالإضافة الى زوايا المتصوفة والحمامات والفنادق وكلها حسنة البناء " [2]

فإذا نظرنا الى هذه الجوانب مثل التعليم والثقافة فنجدها في مستوى يكاد يرتقي بفضل توفير تلك المرافق الضرورية التي يحتاجونها في حياتهم العادية ،والتي تمتاز بالترتيب و التنسيق .

ولو تحدثنا عن الفنون فإن كل مدينة في الجزائر لوجدنا لها فنونها وثقافتها وحضارتها الخاصة والتي تميزها عن باقي المدن ، إذْ توجد في بجاية " قلعة كبيرة متينة الجدران مزخرفة بالفسيفساء والجص المجزع والخشب المنقوش المزدان بألوان اللازرود العجيبة ، حتى أن هذه الأعمال الغنية تساوي أكثر من قيمة البناء نفسه "[3]

من خلال هذا الوصف يتضح أن هذا التنوع في الفنون العمرانية المزخرفة بالفسيفساء هو أن تلك الأماكن التي صورها الحسن الوزان عبارة عن أماكن تراثية فخمة لما تحمله من زخارف ونقوش وتقسيمات فنية تجعلها ذات طابع فني راق .

[1] الحسن الوزان ، وصف افريقيا ، ج2 ، المصدر السابق ص 58.

[2] م نفسه ، ص 50.

[3] م نفسه ، ص 50.

وعند زيارته لإحدى مدن بجاية يصف الحسن الوزان الحالة الإجتماعية لتلك المنطقة يقول عن أناسها " يرتدون لباسا رديئا لفقرهم بسبب جيرانهم الأعراب الذين يسلبونهم مداخيلهم وملك بجاية الذي أثقل كاهلهم بالضرائب وقد اندهشت للفقر السائد بمسيلة عند مروري بها فلم أجد الشعير لفرسي ولليلة واحدة الا بمشقة ولو أقمت بها ليلة أخرى لما تمكنت من الحصول على مثل ذلك لكثرة البؤس و الفاقة السائدين في المدينة [1]

يعكس وصف الحسن الوزان لهؤلاء الناس صورة الفقر المدقع والبؤس بسبب الظروف الصعبة التي كانت سائدة آنذاك من حروب ونزاعات مما أدى الى نقص الموارد وتدهور الأوضاء الاجتماعية وقلة المؤن المعيشية .

من الواضح أن الوزان كان يسجل المعلومات ويدون كل ما يشاهدها في عين المكان " تلك المعلومات التي جمعها عن معالم وأخبار شمال افريقيا من المغرب الى مصر ومن سواحل البحر المتوسط الى أعماق السودان ، ولقد خصص قسما خامسا للدولة الحفصية وصف فيها مدن بجاية ، جيجل ، سطيف ، سكيكدة ، قسنطينة ، عنابة ...إضافة الى المدن التونسية والليبية " [2]

في البداية تطرق الى مملكة بجاية والمدن المجاورة لها مثل عنابة والتي سوف نذكر بعض ما جاء في كتابه من وصف للحياة الإقتصادية والإجتماعية والثقافية واليومية التي كانت تعيشها المنطقة اضافة الى مشاهدته للنواحي العمرانية وما أثار انتباهه هو جمال الموقع وروعة التخطيط والتحصين .ووصفه لأهل عنابة حيث يقول عنهم : " أهل عنابة متكبرون شرسون الى حد أنهم لا يرضون فحسب قتل حكامهم بل يتجرؤون على التهديد بتسليم المدينة الى النصارى ان لم يرسل إليهم الملك حكاما مستقيمين منْصِفين ، ويضيفون الى هذه العجرفة سذاجة كبيرة لأنهم يعظمون أقواما يسيرون في المدينة كالمجانين ، ويعتقدون أنهم الأولياء الصالحين ويحيطونهم بكل اعتبار وتقدير "[3]

كل هذاالتكبر والإستعلاء يجعل صاحبه في مستوى الإنحطاط والتسلط و هنا وصف الوزان أهل عنابة بالسلوكات الدنيئة والعصبية رغم اعتقاداتهم الخاطئة وتقديسهم لأشياء ليس لها سبيل من الصحة والصواب .

[1] الحسن الوزان ، وصف افريقيا ، ج2 ، المصدر السابق ص 52

[2] ينظر، بورايو عبد الحفيظ مدينة قسنطينة ، في أدب الرحلات ، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الآداب ، شعبة أدب الرحلات قسم اللغة العربية ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، الجزائر ، 2007م/2008م ، ص107.

[3] الحسن الوزان ، وصف افريقيا ، ج2 ، المصدر السابق ، ص61.

كما يبرز الحسن الوزان عدد السكان في عنابة عندما استقر بها سنة 239هـ/1516 يقول : " تشتمل عنابة على ألفي (2000)منزل وهي مكتظة بالسكان ،إلا أن المنازل الجميلة قليلة بها وفيها جامع جميل جدا بني على شاطئ البحر ، وسكانها طيبون ومنهم التجار والصناع والنساجون...وفي الجانب الشرقي منها قصبة عظيمة محصنة تحصينا محكما بناها ملوك تونس ويسكنها الولاة وتمتد الأراضي المزروعة خارج المدينة الى مسافة أربعين ميلا وخمسة وعشرون ميلا عرضا ، وهذه الأراضي صالحة للحبوب وتسكنها قبيلة مرداس العربية تقوم بفلحها وتمتلك كثيرا من البقر والثيران والغنم ، وتنتج هذه المواشي من الزبد (السّمن) كميات يبيعها أصحابها في سوق عنابة بثمن قليل لوفرتها وكذلك بالنسبة للقمح وتأتي سفن عديدة كل عام من تونس وجربة وسائر سواحل القُطر وكذا من جذوة لتشتري القمح والسمن من عنابة حيث تستقبل استقبالا حسنا"[1]

هنا يحدد الوزان عدد السكان بالتقريب، اضافة الى انتاجها للسمن والقمح بفضل كثرة المواشي وحسن تربيتها واستغلالها في الإنتاج فهنا لم يقتصر على الجغرافيا فحسب بل وصف الطابع الإجتماعي المتمثل في الطيبة والإخلاص وهذا يرجع الى حسن معاملتهم وخاصة مع الغرباء إلا أنه في بعض الأحيان يذم بعض سكان هذه المدينة وينسب اليهم التكبر والتوحش وهذا راجع الى الإختلاف وتغير السياق الإجتماعي الذي لاحظه عند سكان عنابة من تجار وصناع ونساجون وهذا التنوع دليل على أنهم يحبون العمل اضافة الى الجانب العمراني الذي يمثل الحصون ذات الطابع الدفاعي القوي ،ولا ينسى الجانب الإقتصادي والعسكري والسياسي المتمثل في بناء هذه الحصون المحكمة من طرف ملوك تونس

ومن ناحية أخرى يصف الحسن الوزان أن هذه المدينة كانت تملك شواطئ كثيرة يكثر فيها المرجان لكن ليس لأحد الحق في صيده أو التقاطه لأن الملك هو الذي يسير هذه الأمور في حين اكترائه أو منحه لأهل المدينة وهذا ما يدل على أنها كانت من أغنى المناطق الساحلية بالمرجان الذي يعتبر صيده احدى الانشطة الاقتصادية المهمة في تلك المناطق حيث كان يستخرج ويباع للأوروبيين ، فلم يكن مجرد مورد طبيعي بالنسبة لهم بل كان له بعد ثقافي تجده حاضر في التراث والمجوهرات التقليدية والتي كانت بكثرة في تلك الفترة .

وفي الختام ، يتضح أن وصف الحسن الوزان ليس مجرد كلمات رسم بها صورة الآخر ، بل هو انعكاس لما شاهده واصطدم به أثناء رحلته فهذا جزء بسيط من أوصافه ورحلاته لأنها رحلات شيقة

[1] الحسن الوزان ، وصف افريقيا ، ج2 ، المصدر السابق ، ص 62.

وطويلة تستحق أن ينظر اليها الباحث من باب الإبداع والإكتشاف إلا أنه لم ينل الدراسة والإطلاع حتى أخذه الغير ونسبه اليه وشوه فيه، رغم أن الحسن الوزان كان وصفه للآخر(الجزائري) صادق ومنصفا نابغا من مشاهدات واعية صادقة تعكس الاحترام والتقدير بما فيه من اعجاب وحقائق تكاد أن تكون موجودة ليومنا هذا رغم السنوات والخراب الذي تركه الإستعمار الأوروبي الإسباني والإحتلال الفرنسي.

رابعا : أدب الرحلة من محتوى الرحلة والتموقع النقدي :

استعمل الرحالة الوصف أثناء رحلاتهم والذي مثل فضاء تتداخل فيه صورا حية و متعددة وهذه الصور بدورها تعكس خطابا متعدد الرؤى إذْ يحمل في طياته مواقف متباينة تساهم في بناء الذات وصورة الآخر ، ومن خلال الوصف الرحلي لا يمكن تصوير الآخر فقط بل يساهم أيضا في تشكيل الذات .

فمن خلال قراءتنا للرحلة من منظور نقدي يستوجب علينا تتابع فعاليات الوصف والكشف عن المندس من الخصائص النوعية من عادات وتقاليد وبُنى اجتماعية وسياسية وثقافية تميز الآخر عن غيره.

- **نقد الذات ونقد الآخر في أدب الرحلة :**

قدم الحسن الوزان في مؤَلّفه " وصف افريقيا " عناصر الزمان والمكان والتاريخ وفق سجل تاريخي وجغرافي ، تميز بعناصر إبداعية وفنية استطاع من خلاله تقديم رؤية نقدية وثقافية فنية وحضارية وفكرية ، ومن أجل البحث عن هذه المقاربة النقدية في أدب الرحلة ارتأينا مجموعة من العناصر هي :

أ - نقد الآخر : " يتّخذ مفهوم الغير في التمثيل الشائع معنى تنحصر دلالته في الآخر المتميز عن الأنا الفردية أو الجماعية وتكون أسباب هذا التميز إما مادية جسمية وإما عرقية أو حضارية أو فروقا اجتماعية أو طبقية " [1]

[1] حسن شحاتة ، الذات والآخر في الشرق والغرب صور ودلالات واشكالات ، دار العالم العربي ، ط1 ، القاهرة ،1429هـ / يناير 2008م ، ص17 .

ومن خلال رحلة الحسن الوزان تبيّن أنه قدم مجموعة من الرؤى النقدية الخاصة بكل من المجتمعين الاسلامي العربي الذي ينتمي اليه والمجتمع الاوروبي الذي كان اسيرا فيه ، بما أنه عاش فيه فإنه لابد أنه لاحظ اختلافات وفروقا بينه وبين سكان روما وهذا جعله يؤلف كتابه " وصف افريقيا " والذي قدم فيه أوصافا عميقة تخص قارة افريقيا وخاصة الجزء الشمالي منها كما لا يخلوا وصفة من بعض الإنتقادات الخاصة بالذات العالم العربي -الجزائر -والآخر الغربي المسيحي -روما- التي شاهدها حضاريا وسلوكيا وسياسيا وفكريا.

1- **نقد الآخر حضاريا وسلوكيا**: لا يخلوا وصف الحسن الوزان من بعض انتقادات الآخر الذي يعتبر بالنسبة له مخالف ومغاير وهو الأوروبي أو المسيحي والذي تعايش معه أثناء أسره في قصر البابا ليون العاشر فقد لاحظ انحلال أخلاقي وذلك لاختلاف الديانات (الاسلام ، المسيحية) واختلاف الأخلاق والسلوكيات الاجتماعية والسياسية وغيرها وهذا ما أكده أيضا لوجي دو تاسي عندما نفى وجود بعض المراكز من ملاهي وخمارات الخاصة باللهو والترف والخمر في الجزائر لكنها تكثر في سجون المسيحيين مما تؤدي الى الانحلال في الأخلاق والثقافة.
2- **نقد الآخر سياسيا** وإيديولوجيا : انتقد الحسن الوزان أيضا النظام البابوي* في روما ، والتي ساعدت الباباوات في نشر المسيحية بهدف القضاء على أكبر قوة حضارية وهي الدولة الإسلامية لكن الحسن الوزان هنا تظاهر بإعتناق المسيحية رغم تمسكه بعقيدته الإسلامية " وحمل اسم مالكه وحاميه البابا وصار يدعى يوحنا الأسد الغرناطي أو الإفريقي تسترا وعملا بقوله الله تعالى " مَنْ كَفَرَ بالله مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إلاَّ مَنْ أكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌ بالإيمَان وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ الله وَلَهُم عذَابٌ عَظِيمٌ " [1](سورة النحل الآية 106)، كما انتقد ايضا الصراعات التي كانت بين الدول الاوروبية على السلطة والحكم .
3- **نقد الآخر فكريا** : كان منتقدا للنزعة التبشيرية *التي حاولت احتوائه لكن " تجلت الصبغة الإسلامية في كتابه "وصف افريقيا " فنجده كلما تحدث عن عادة أو عيد أو غير ذلك مما يخص المسلمين نسبه الى نفسه مع جماعة المسلمين قائلا " عندنا " وهذا التعبير يكثر في كتابه بينما لا ينسب فيه لنفسه شيئا مع المسيحيين بخصوص الطقوس الدينية ولو لمرة واحدة وإنما عبر بقوله " عندنا هنا في ايطاليا " عن بعض المزروعات وعادات الفلاحين وما الى ذلك من الأمور الدنيوية العادية "[2]ورغم تعلمه للغات الثقافية الغربية ظل يوضح التناقض بين المسيحية

[1] الحسن الوزان ، وصف افريقيا ، ج1 ، المصدر السابق ، ص 11.
[2] م نفسه، ص11.

والإسلام ويدل على أن المسلمين كانوا جزءا من ذاته الإسلامية بخلاف المسيحيين الذين يعتبرهم آخرا مختلفا عنه .

ب - **نقد الذات** : " تهتم نظرية نقد الذات بالإيمان بأهمية الفرد مهما كانت مشكلاته وتقرير مصيره بنفسه ...فالإنسان خير في جوهره ولا حاجة للسيطرة عليه والتحكم به "[1]

1- **نقد الذات حضاريا وسلوكيا** : في وصف الحسن الوزان لشمال افريقيا بعض الإتقادات الخاصة بسكان المدن الجزائرية خاصة وشمال افريقيا عامة والتي كانت جزءا من حضارته العربية والإسلامية فقد أشار الى التخلف في بعض المدن من حيث التنظيم والبنية التحتية اضافة الى نقده لبعض السلوكيات الذميمة مثل ضعف الإدارة والجشع وغيرها لدى العرب .

2- **نقد الذات سياسيا** : استطاع الوزان أن يصور حكام المسلمين الذين فقدوا روح العدالة وأعطوا الخلافة لأبنائهم الطغاة من أجل الشهرة ، ووراثة الحكم مما أدى الى تفكك وضعف الدولة (مثلا تصويره لحاكم قسنطينة عندما أعطى الحكم لأبنائه)

3- **نقد الذات فكريا** : يبدوا أن الحسن الوزان قد تأسف لحالة الفكر العربي الإسلامي لما أصابه من تراجع في الجانب الفكري حيث تراجع دور العلماء الحقيقيين في نشر المعرفة وأصبح تهميش الطلبة والباحثين هينا من جميع الجوانب المادية والمعنوية وخاصة ما لاحظه في تلمسان من خلال مقارنته لفئات المجتمع هناك واعتبر الطلبة هم الفئة الدنيئة والمهمشة ، وهذا أمر لازال الى يومنا هذا حيث ظل الطالب مهمشا و مستويا مع جميع الفئات سواء من الناحيا العلمية أو الناحية العملية .

*النظام البابوي : الدولة البابوية أو دولة الكنيسة ، كانت من بين الدول التاريخية الكبرى في ايطاليا من القرن السادس تقريبا البابوية منصب وسلطة البابا (بابا اللاتينية ، من كلمة باباس اليونانية "الأب ") الذي يرأس الكرسي أو الحكومة المركزية للكنيسة الكاثوليكية الرومانية ، أكبر الطوائف المسيحية الثلاثة .

*النزعة التبشيرية : الإرسالات المسيحية أو البعثات المسيحية وهي جهد منظم لنشر الديانة المسيحية ،وتعرف الكنيسة الكاثوليكية التبشير بأنه " عمل رعوي موجه الى الذين لا يعرفون رسالة المسيح " .

[1] د. حسن شحاتة ، الذات والآخر في الشرق والغرب صور ودلالات واشكالات ، المصدر السابق ، ص 23 .

الخاتمة

خاتمة

من حصاد ما سبق، نخلص من خلال خاتمة رحلتنا الأدبية رغم أن البحث العلمي مفتوح على الدوام، في موضوعنا الموسوم ب: صورة الآخر في أدب الرحلة للحسن الوزان (نموذجا)

إن النتائج المتوصل اليها رتبتها كالآتي:

1- لكل رحالة مميزاته الخاصة في بناء صُوَرِه، فقد يهتم أحدهم على المشاهدة المباشرة وتكون رحلته حقيقية ، بينما يوجد آخر يهتم بما سمعه عن الآخر دون مشاهدة، وهنا رحلته خيالية ولتبيين رؤية هؤلاء لابد للمبدع أن يقف عند هذه المشاهدات فيدرسها ويكشف أهم خباياها.
2- استطاع الحسن الوزان من خلال رحلته أن ينقل لنا أوصافا دقيقة وشاملة للقارة الإفريقية من الداخل والخارج.-أخذت الجزائر كجزء من هذه القارة- .
3- من خلال البحث في هذا الموضوع الموسوم بصورة الآخر في أدب الرحلة اتضح أن فن الرحلة هو السبيل الوحيد والمجال الخصب لدراسة صور الآخر من كل الجهات والجوانب.
4- من خلال التوثيق الجغرافي للحسن الوزان الذي فصّل فيه بين المدن والأقاليم والجبال ، والأنهار ، وتحديد المسافات بين المدن والقرى فإن هذا التحديد الدقيق لم يكن موجود في تلك الفترة إلا أن الوزان تمكن منه بكل سهولة .
5- لم يكتف الوزان بوصف الظواهر الجغرافية فحسب بل كان وصفه اجتماعيا وثقافيا أيضا اعتمد فيه على وصف السكان والقبائل واهتم بعاداتهم وتقاليدهم ولغاتهم وطبيعة عيشهم ومستوى تحضرهم مما جعله يتعلم اكثر من خمسة لغات بفضل هذا التنقل والاكتشاف .
6- استطاع الحسن الوزان أن يجمع بين عالمين الاسلامي والمسيحي حيث إنه عربي مسلم، وأُسِر في بلاط البابا المسيحي الذي أعجب بعلمه ومعرفته فألف كتابه وصف افريقيا في الكنيسة رغم تشبته بالدين الاسلامي وادعائه بأنه أصبح مسيحي من أجل نقل المعرفة بين العالم الأوروبي والعالم العربي الاسلامي.
7- اعتبر كتابه " وصف إفريقيا " مصدرا تاريخيا -مهما في تلك الفترة القرن 16م - و مصدرا انثروبولوجيا مهما في وصف الانسان من جميع جوانبه وتقديم صور تكاد تكون حقيقية ودقيقة عن افريقيا وشعوبها بصفة عامة .

8- عكست الرحلات صورة واضحة عن أحوال الشعوب من: (المأكل، المشرب، اللباس، عادات وتقاليد، الثقافة والفنون المعمارية...) ولعل ما نقله الرحالة أيضا من مشاهدات وأوصاف كانت تمهيدا لنشوء علم جديد يبحث في الكشف عن ثقافة الذات وفهم ثقافة الآخر.

9- استطاع الحسن الوزان من خلال كتابه " وصف افريقيا " أن يصحح معارف أوروبا حول افريقيا من خلال دراسته وخبرته بأحوال القارة من مختلف الأقاليم والموارد والخصائص الطبيعية والثقافة المادية واللا مادية مما جعل الاوروبيين يعيدون النظر في صورة افريقيا والاهتمام بدراستها من منظور جديد .

10-من خلال تصوير الرحالة الغرب للآخر (الجزائري) اتضح أن الغرب كان تصويرهم للعرب لغرض خاص يخدم صالحهم مثل تشويه صورة المجتمع وغيرها من الصفات العدوانية التي تخدم صورتهم الذاتية أو الغربية .

11- يعد بروز الذات عند الحسن الوزان في وصفه لثقافات المجتمعات الجزائرية خاصة والإفريقية عامة ونقدها مقارنة بالثقافات والمجتمعات الغربية التي أُسِر فيها مما أدى الى بروز هذا المجتمع الغربي كآخر محايدا عن ثقافته العربية .

12- نقد الذات ونقد الآخر من أهم ما يجسده الرحالة في تبني النقد سواء الذاتي أو النقد تجاه الآخر.

13- تعد رحلة الحسن الوزان نموذجا فريدا في أدب الرحلة وذلك بما فيه من أوصاف ورؤى نقدية بين الذات والآخر حيث ساوى بين الذات والآخر فكانت رؤيته للآخر متوازية لا تميل الى الانبهار أو التحيز في حين نقده للذات فكانت نظرة يشوبها الوعي وتصحيح بعض الأفكار الخاطئة والصفاة الدنيئة للمجتمع الجزائري .

قائمة المصادر
و المراجع

قائمة المصادر و المراجع

* القرآن الكريم، برواية ورش عن نافع.

أولا: المعاجم:

1- ابن منظور ، لسان العرب ، تح : عامر أحمد حيدر ،ج3 ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت ،لبنان ،2005م.

2- الخليل بن أحمد الفراهيدي ،كتاب العين ،ج2 ،دار الكتب العلمية ، ط1 ،بيروت ،2002م. -

3- أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا ،مقاييس اللغة ،ج2 ، دار الجيل ، ط1 ، بيروت ، 1141هـ 1991م.

4- المنجد في اللغة العربية المعاصرة، مر: صبحي حموي، دار المشرق، ط1، بيروت، لبنان 2000 م.

5- ريتهارت دوزي ، تكملة المعاجم العربية ، تح : محمد سليم النعيمي ، 2011م .

6- الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب ،المحيط ،ج3 ،دار الجيل ،ط3 ، بيروت ،د.ت .

7- مجدي وهبة، معجم مصطلحات العربية، مكتبة لبنان، ط2، لبنان، .1984

8- محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي ،تاج العروس، ط1 ،المطبعة الخيرية ،مصر، 1988م .

9- معجم اللغة العربية، الوسيط، دار الشروق الدولية، ط4، مصر، 2008م.

ثانيا: الكتب:

1- أزهار نيسان، كتب الرحالة العرب والأوروبيين في ذكر محاسن تلمسان، م1، المجلس السادس، وزارة الثقافة الجزائر، 2011م. لبنان ، 1407هـ / 1987م.

2- الحسن الوزان ، وصف افريقيا ، ج1 ، دار الغرب الإسلام ، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر ،ط2 ، بيروت ، لبنان ، 1983.

3- أبو حامد الغزالي ،إحياء علوم الدين ،ج2 ،دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت ، 1986م .

4- تاريخ ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر طبعة مصححة اعتنى بإخراجها ، ألحق بها فهارس للآيات وللأحاديث وللموضوعات ، أبو صهيب الكرمي ،بيت الأفكار الدولية ،الأردن ،السعودية ، (732-808) هـ

5- الحسن الوزان ، وصف افريقيا ، ج2 ، دار الغرب الإسلام ، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر ،ط2 بيروت ، لبنان ، 1983

6- أمين معلوف ، رواية ليون الإفريقي ، دار الفرابي ، ط1، بيروت ، لبنان ، 1997

7- ج،أ،هابنسترايت ، رحلة العالم الألماني ج،أ،هابنسترايت الى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ -1732م).دط، دار الغرب الاسلامي ،تر: نصر الدين سعيدوني، تونس،2008م

8- دانيال ريغ ، رجل الاستشراق مسارات اللغة العربية في فرنسا، تر: د. إبراهيم صحراوي ،دار التنوير للنشر والتوزيع ،دط ،حسين داي ، الجزائر،2008م.

9- صلاح الدين علي الشامي ، الرحلة عين الجغرافيا المبصرة في الكشف الجغرافي والدراسة الميدانية ، منشأ معارف الاسكندرية ،د.ط ، 1999م .

10- فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط2، القاهرة، 2002م.

11- قادة محمد ،الحوار الثقافي بين نحن الآخر من منظور عبد المالك مرتاض ، المجلد 16 ،العدد 02،جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم ، الجزائر ،سبتمبر 2020 م.

12- ابن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، د.ط ، 1979 .

13- أغناطيوس يوليان وفتش كراتشوفسكي ،تاريخ الأدب الجغرافي ،ت صلاح الدين عثمان هاشم ، ج1 ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ،د.ط ،1963 .

14- ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي (حتى نهاية القرن الرابع هجري) دار النشر للجامعات المصرية، مكتبة الوفاء، ط1، 1990.

15- ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة تحفة النُظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، ج1 ، دار احياء العلوم بيروت ، ط1 ، بيروت ، 1407هـ/1987م.

16- أبو القاسم الزياني ، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا ، تح : عبد الكريم الغيلالي دار لنشر المعرفة ، طبعة1412هـ - 1991م،الحي الصناعي ، الرباط

17- حسني محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس، ط2، بيروت، لبنان، 1983.

18- د. محمد مؤنس أحمد عوض، الرحالة الأوروبيّون في مملكة بيت المقدس الصليبية ، مكتبة مدبولي ، ط1 ، القاهرة ، 1992م .

19- رزان محمود ابراهيم،خطاب النهضة والتقدم في الرواية العربية المعاصرة ،دار الشروق ، ط1 ، عمان الأردن ،2003م.

20-سميرة أنساعد ، الرحلة الى المشرق في الأدب الجزائري دراسة في النشأة والتطور والبنية، دار الهدى ، دط ، عين مليلة ، الجزائر، 2009م .

21-شعيب حليفي ، الرحلة في الأدب العربي التجنس في آليات الكتابة خطاب المتخيل ، مكتبة الأدب المغربي ، دط ، أبريل 2002م .

22-شوقي ضيف، الرحلات فنون الأدب العربي الفن القصصي، دار المعارف، ط4، ا لقاهرة، 1119 .

23-عمر علي عبد العلام ، الأنا و الآخر ،الشخصية العربية والشخصية الاسرائيلية في الفكر الإسرائيلي المعاصر، دار العلوم والتوزيع والمعلومات ، ط1 ، 2005 م .

24- كار بخال مارا مول ، إفريقيا ، ج3 ، تر: محمد حجي ، محمد زنير ، محمد الأخضر ، أحمد التوفيق ، أحمد بن حلوف ، الرباط ، المغرب ، دار نشر المعرفة للطباعة والتوزيع ، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر ، 1984.

25-كمال بو لعسل ، رحلة أبي حامد الغرناطي دراسة في فضاء الرحلة ، نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع ، ط2 ، قسنطينة ، الجزائر، ، 2013م

26-مارمول كاربخال ، إفريقيا ، ج1 ، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، دط ، الرباط ، المغرب

27- محمد بن عثمان المكناسي ، الإكسير في فك الأسير ، تحقيق محمد علي الفاسي ، المركز الجامعي للبحث العلمي ،الرباط ، دط ، 1965.

28-محمد بن عثمان المكناسي ، الإكسير في فك الأسير ، تحقيق محمد علي الفاسي ، المركز الجامعي للبحث العلمي ،الرباط ، دط ، 1965.

29-محمد غنيمي هلال ،النقد الأدبي الحديث ، دار الثقافة ،بيروت ،لبنان ،1973م

30-محمود خليف الحياني ،الاستشراق والاستغراب ،السلطة، المعرفة ، السرد ، التأويل ،المرجعيات ،دار غيداء للنشر و التوزيع ، ط1 ،عمان ن 2012م .

31-نادر كاظم، تمثيلات الآخر ،صورة السود في المتخيل العربي الوسيط ، دار الفارس للنشر والتوزيع ،ط1،بيروت ، 2004م.

- **ثالثا: الرسائل الجامعية :**

1- اسماعيل زردومي ، فن الرحلة في الأدب المغربي القديم ،نسخة مخطوطة أطروحة دكتوراه ، إشراف أ.د عبد الله العشي ،جامعة باتنة، 2005م .

2- بغدادي زهرة ، أدب الرحلات في الجزائر أبو القاسم سعد الله نموذجا ، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الأدب واللغة العربي ، تخصص أدب عربي حديث ومعاصر ، قسم اللغة والأدب العربي ، المركز الجامعي صالحي أحمد . النعامة . الجزائر ، 2019م/ 2020م.

3- بورايو عبد الحفيظ مدينة قسنطينة ، في أدب الرحلات ، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الآداب ، شعبة أدب الرحلات ، قسم اللغة العربية ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، الجزائر ، 2007م/2008م .

4- ميسوم عبد القادر ، رؤية الآخر في الخطاب الروائي لأحلام مستغانمي ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في مشروع الكتابة وتمظهر الآخر في الرواية العربية المعاصرة ، قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة السانية وهران ، كلية الآداب اللغات والفنون ، الجزائر 2004م /2005 م.

5- نبيلة مهرهرةو سارة عياشي ، صورة الأنا والآخر في رحلة جزائري في الأندلس رحلة الفردوس الموجود لسفيان مقنين ،شهادة ماستر في الأدب العربي ،قسم اللغة والادب العربي ،جامعة محمد الصديق بن يحيى ، جيجل ،2018/2019م.

6- نعماني سامية و بوعافية فايزة ، أوضاع الجزائر من خلال رحلتي ابن زاكور الفاسي وأبي القاسم الزياني / أنموذجا ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الجزائر الحديث ، قسم التاريخ ، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية ،جامعة أكلي محند أولحاج ، البويرة ، الجزائر ، 2023م/2024م .

7- وناسة بودرع ، شعرية الوصف في الرحلة ، مذكرة لنيل شهادة الماستر في اللغة العربية والأدب العربي ، جامعة محمد الصديق ، جيجل ، 2018م/2019م.

8- وهيبة العايب ونورة قريشي ، أدب الرحلات ودورها في التواصل بين الحضارات ، مذكرة معدة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر ، قسم اللغة العربية وآدابها ، كلية الآداب واللغات ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، 2011م .

- **رابعا: المجلات والملتقيات:**

1- حفيظة خشمون ، مدينة الجزائر في القرن الثامن عشر من خلال ملاحظات المستشار الفرنسي لوجي دو طاسي ،مجلة الدراسات ، جامعة 20أوت 1955م ، سكيكدة، ، المجلد 15، ع1،2024م.

2- حواء حنكة ، وصف الرحالة الأوروبيين للوضع السياسي في الجزائر خلال العهد العثماني ، الجزائر ، مجلة دراسات وأبحاث المجلة العربية للأبحاث والدراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية ، مجلد 15، عدد1 ، جانفي 2023م .

3- فاتح بلعمري ،المدن الساحلية الجزائرية في القرن 10هـ/16م ، عند مار مول كار بخال وأبي الحسن التمقروتي -دراسة مقارنة – جامعة مسيلة ، الجزائر ، المجلة التاريخية الجزائرية ، المجلد 06 ، العدد1 ، 2022 م.

4- محمد بن عدي ، تلمسان من خلال كتابات الرحالة المغاربة ، الحسن الوزان وأبو القاسم الزياني ، مجلة رفوف ، مخبر المخطوطات ، جامعة ، أدرار ، الجزائر ، المجلد 11 ، العدد01 ، جانفي 2023م.

5- محمد بن عدي ، تلمسان من خلال كتابات الرحالة المغاربة ، الحسن الوزان وأبو القاسم الزياني ، مجلة رفوف ، مخبر المخطوطات ، جامعة ، أدرار ، الجزائر ، المجلد 11 ، العدد01 ، جانفي 2023م.

6- محمد بومدين ،دور رحلة الاسر في تأصيل مقاربات تفكير التفكير التاريخي وآلياتها الفلسفيةعند مار مول كار بخال والحسن الوزاني نموذجا، دورية كان التاريخية ، السنة الخامسة عشرة، العدد السادس والخمسون ،يونيو 2022م .

7- يامنة جبور ، صورة تلمسان في رحلة ابن بطوطة ، العدد الرابع والعشرون ، كلية الآداب واللغات جامعة تلمسان ، الجزائر ، 2017م .

الفهرس

شكر و عرفان

اهداء

مقدمة.....أ

مدخل: مفاهيم حول الصورة والرحلة وأدب الرحلة 5

الفصل الأول: نشأة وتطور المصطلح عند العرب والغرب.....

أولا: نشأة أدب الرحلة.....16

ثانيا : أهم الرحالة العرب الذين تحدثوا عن الجزائر: 20

ثالثا : أهم الرحالة الغرب الذين تحدثوا عن الجزائر:.....32

رابعا:رؤى نقدية حول تأثير الرحّالة ببعضهم البعض (العرب والغرب خلال القرن 18/16):

.....45

الفصل الثاني : تجليات صورة الآخر عند الرحالة الحسن الوزان .....

أولا: صورة تلمسان من خلال كتاب الرحالة الحسن الوزان:.....50

ثانيا : صورة قسنطينة عند الحسن الوزان :.....54

ثالثا : صورة مملكة بجاية و عنابة : 56

رابعا : أدب الرحلة من محتوى الرحلة والتموقع النقدي :.....59

خاتمة 63

قائمة المصادر و المراجع.....66